القدس قضية الأمة المحورية

حقوق النشر محفوظة

اسم الكتاب : القدس قضية الأمة المحورية

إعداد : د / عبد التواب مصطفى

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ٢٠١٠م – ١٤٣١ هـ

الناشر: مركز يافا للدراسات والنشر ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم



الاهداء

مرة ثالثة .. إلي :

- **حجة الإسلام ، أبى حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) ؛ إمام الإصلاحيين ، ومفجر حركتهم – في نهايات القرن الخامس الهجري – التي تتابعت حلقاتها بعده ، حتى تُوجت بدحر الصليبيين .**
- **المجاهد الصوفي الكبير ، عبد القادر الجيلانى (٤٧٠ – ٥٦١ هـ) ؛ رائد مدارس الإصلاح ، التي تخرج فيها – منتصف القرن السادس الهجري – رجال الدولتين الزنكية والأيوبية .**
- **سادس الخلفاء الراشدين ، نور الدين محمود زنكي (٥١١ – ٥٦٩ هـ) .**
- **صلاح الدين الأيوبي ، السابق (٥٣٢-٥٨٩هـ) و (المنتظر) .**

مقدمة :

أرى أن الانتفاض – دفاعاً عن القدس – ليس مقصوراً على رماة الحجارة ، أو المجاهدين الميدانيين أو الاستشهاديين ، من أبناء الشعب الفلسطيني الشقيق فحسب ، بل إن الذود عن القدس ، واجب ينسحب على كل من له علاقة بهذه المدينة المقدسة : وطنياً أو قومياً أو عقدياً ، فى مواجهة الصهاينة ، أولئك المارقين على حقائق التاريخ ، وثوابت الجغرافيا ، وأصول العقائدية الدينية الصحيحة .

إن المصادر اليهودية قبل العربية والإسلامية ، تشهد بعروبة مدينة القدس تاريخياً ، وتأتى بعض الأدلة اليهودية – فى هذا السياق – بمثابة (شاهد من أهلها) ندفع به فى مواجهة أى من القوى الاستعمارية ، الطامعة فى فلسطين أو فى القدس تحديداً ، وذلك فى معالجة علمية موضوعية ، بعيدة عن الترويج الإعلامى أو التحيز السياسى ، إذ ان مجرد الرجوع إلى التوراة المتداولة ، يمكننا من وضع أيدينا على أكثر من دليل – عقدى يهودى – على أن الكنعانيين العرب (الفلسطينيين) كانوا فى الأرض (فلسطين)

قبل أن يكون هناك يهودية أو يهود ، وقبل أن يكون هناك سليمان أو داود ، بل قبل أن تطأ هذه الأرض قدما أبى الأنبياء ، إبـــراهيم عليه السلام نفسه .

الولاية السياسية أو السيادة علـــى هـــذه الأرض تكـــون – إذن – لشعب الإقليم أى الفلسطينيين ، مهما تعددت أو تلاحقت موجـــات الغزو الأجنبى الاستعمارى على هذه الأرض ، إذ كان مصير تلـــك الغزوات – تباعاً – هو الاندحار ، والتراجع أمام إرادة أبناء شعب هذا الإقليم : الفلسطينيين ، ومـــن ورائهـــم الظهيـــران العربـــى والإسلامى .

جاء الفتح العربى الإسلامى ، ليكرس ويرسخ الســـيادة العربيـــة الإسلامية ، على أرض فلسطين ، وليضيف إلى الولاية السياســـية ولاية دينية ، على الأرض المذكورة ومقدساتها الدينيـــة ، وفـــى مقدمتها المسجد الأقصى .. أولى القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين الشريفين .. ومسرى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم . وتباعاً تعمقت مكانة هذا المسجد فى قلوب المســـلمين ، وتقررت له القداسة والشرافة ، بأكثر من آية قرآنية وحديث نبوى

شريف ، وبما بذله المسلمون ، عبر التاريخ المديد ، فـــى ســـبيل الدفاع عنه باعتباره – وأرض القدس كلها – أمانة فى أعناقهم .

لقد أتى أمير المؤمنين ، عمر بـــن الخطـــاب بنفســـه (٦٣٦ م – ١٦هـــ) ، ليتسلم مفاتيح القدس ، وليجعلها (أمانة) في عنقه ، ثم استردها صلاح الدين الأيوبى ، من قبضة الفرنجة بعـــد مواجهـــة شرسة معهم ، استمرت قرنين من الزمان ، فيما عُرف بـــالحروب الصليبية ، وآثر السلطان عبد الحميد – آخر خلفاء المسلمين فى التاريخ الحديث – أن يفرط فى كرسى سلطنته على أن يفرط فـــى القدس ، إذ كلفه دفاعه عنها – فى مواجهة الحركة الصهيونية – ذلك الكرسى .

من الناحية السياسية – كذلك – فإن قضية القـــدس هـــى قضـــية محورية ، تمس بنية النظام الإقليمى الإسلامى ، وتمـــس أمنـــه ، وتؤثر على جملة مصالحه السياسية والاستراتيجية ، وإذ يعد من الصعب – حالياً – الوقوف على أبعاد علاقة هذه القضية ، بجملة مصالح العالم الإسلامى ، فإن البديل أو المكافىء الموضوعى لهذا ، هو الوقوف على أبعاد الخطر الاستعمارى عامة ، وأبعـــاد هـــذا

الخطر حال تمكنه من هذه المدينـــة خاصـــة ، آخـــذين بأســـباب مواجهته ، عملاً بالقاعدة الشرعية الإســـلامية : دفـــع المفاســـد (المخاطر) مقدم على جلب المنافع (المصالح) .

إلى ذلك تعد مقررات الشرعية الدولية ، هى المعطى الإيجابى الوحيد – تقريباً – فى البيئة الدولية ، التى يتحرك فيها المسلمون – منظمة المؤتمر الإسلامى – بشأن قضية القدس ، حيث تبلور من جملة هذه المقررات ، مركز قانونى دولى لهذه المدينة ، يحفظ الحـــق العربـــى الإسلامى فيها ، بشقيها الشرقى والغربى ، هذا الحق الذى لا ينقصه – حتى يعود إلى أصحابه – إلا أن يكون وراءه (مطالب) .

يقدم هذا الكتاب معالجة متكاملة لأبعاد قضية القدس ، أراها غيـــر مسبوقة ، إذ إنها تقدم الأدلة الفاصلة : تاريخياً ودينياً وسياســـياً وقانونياً ، للحق الفلسطينى العربى الإسلامى ، فى مدينة القدس ، وتوفر الأرضية الصلبة ، لبناء مطالبة شجاعة بهذا الحق ، حتـــى يعود كاملاً بإذن الله .

د. عبد التواب مصطفى

القاهرة في : ٥ / ٨ / ٢٠١٠

المبحث الأول

التأصيل التاريخى لعروبة مدينة القدس

يغلب على هذا المطلب الطابع الببليوجرافى ، لا التحليلى ، فهو يستهدف الوقوف – أو الإلمام – بجملة من المفاتيح والأدلة إلى المصادر والمراجع ذات الصلة المباشرة ، بواحد من أهم جوانب قضية القدس ، ألا وهو الجانب التاريخى .

فى الوقت نفسه ، تضع هذه الصفحات عروبة القدس ، وتأصيل أدلة هذا البعد المهم ، من أبعاد هوية المدينة العريقة ، فى بؤرة الضوء ، لينال حقه فى الذود عنه ، فإن الانتفاض دفاعاً عن القدس ، ليس مقصوراً على الاستشهاديين أو المجاهدين أو رماة الحجارة فحسب ، من أبناء الشعب الفلسطينى البطل ، بل إن الذود أو الدفاع عن القدس ، واجب ينسحب على كل من له علاقة بالمدينة المقدسة : وطنياً أو قومياً أو إسلامياً ، أو (بحثياً) ، فى مواجهة تلك الثلة من الصهاينة ، المارقين على كل حقائق التاريخ وثوابت الجغرافيا ، وأصول العقائد الدينية الصحيحة .

برغم أن عروبة فلسطين ، ومدينة القدس ، باتت من المسائل المحققة علمياً ، والمتواترة تاريخياً وسياسياً ، فلاتزال دوائر الدعاية الصهيونية عامة ، والإسرائيلية خاصة ، تخوض وتتمادى فى تنكرها لهذه الحقيقة ، الأمر الذى يفرض ضرورة الإحاطة بأهم المصادر ، التى توثق لعروبة هذا القطر وهذه المدينة ، وتفند الدعاوى الصهيونية الإسرائيلية فى هذه المسألة ، خاصة إذا كان جانب من هذه المصادر بمنزلة (شاهد من أهلها) ؛ إذ ان المصادر اليهودية ، قبل العربية والإسلامية ، تشهد بعروبة فلسطين ومدينة القدس (*) ، وهو ما يضفى على هذه المعالجة الطابع العلمى الموضوعى ، بعيداً عن الترويج الإعلامى أو التحيز السياسى .

---

* انظر :
- الكتاب المقدس ، العهد القديم ، طبعة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط ، توزيع معهد الدراسات القبطية بالمقر البابوى بالقاهرة ، أسفار (التكوين – الخروج – التثنية – يشوع – القضاة – صموئيل الأول – عزرا) .
- دائرة المعارف اليهودية العامة ، ج٢ ، ص٣٥٨ ، نقلا عن : ظفر الإسلام خان ، تاريخ فلسطين القديم – ط٦ – بيروت ، دار النفائس، ١٩٩٢م ، ص١٥٣ .
- د. محمد خليفة حسن ، عروبة القدس فى التاريخ القديم مع نقد تحليلى لصورة أورشليم فى العهد القديم ، رسالة المشرق (الجيزة- مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة) ١٩٩٥م ، ص٩-٥٣
- د. جوزيف موسى حجار ، القدس : ماضيها وحاضرها ، ط١ ، دمشق ، د.ق ، ١٩٩٥ ، ص٨
- محمد أ مد أبو الفوارس ، هل لبنى إسرائيل حقوق توراتية فى فلسطين العربية ، ط٢ ، القاهرة ، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ .
- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمى ، هل لإسرائيل حق تاريخى فى فلسطين ، ط١ ، القاهرة ، العربى للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٥٧ – ١٧٤
- د. محمد سبعاوى ، القدس عربية بنص التوراة ، سطور (لندن) ، أغسطس ١٩٩٧ ، ص٣٥
- د. عبد الخالق عبد الله جبة ، عروبة القدس فى الفكر اليهودى ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٦/٨/٢٠م

قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام ، كانت أولى الهجرات العربية الكنعانية إلى شمال شبه الجزيرة العربية ، استقرت على الضفة الغربية لنهر الأردن ، أى المنطقة الجبلية فى فلسطين، منسابة إلى البحر المتوسط بـ : (أرض كنعان) ، وأنشأ هؤلاء الكنعانيون مدينة (أورسالم) . ثم استقبلت تلك المنطقة – ٢٥٠٠ ق.م – بعض القبائل القادمة من جزر البحر المتوسط تسمى قبائل (فلستين) إلى السواحل الشرقية والجنوبية ، عرفوا بسكان السواحل أو (بالستين) . واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالكنعانيين ، لكن غلب الدم الكنعانى على هذا الشعب ، وغلب اسم (بالستين) على المكان ([1]) .

- أحمد عبد الوهاب ، القدس فى الأسفار الإسرائيلية ، الأهرام (القاهرة) ١٩٩٨/٨/٢٥
- د. عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص٢٨٥
- سامى محمد عبد الحميد ، القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، ط ، القاهرة ، مكتبة الآداب ٢٠٠١م – ص٨١ – ٨٢

(أبرز ما انتهت إليه هذه المصادر هو تقريرها ، أو اعترافها – خاصة دائرة المعارف اليهودية – بأن فلسطين أصبحت بلادا عربية ، ليس بسبب الفتح (المحمدى) فحسب ، ولكن لأن العرب قد أتوا إليها منذ قرون مضت ، كذلك أثبتت هذه المصادر أن كل الأسماء التى عرفت بها هذه المدينة ، باستثناء (إيليا) ، (وكومودیانا) – هى أسماء عربية حتى أورشليم وصهيون) .

[1] ظفر الإسلام خان ، م.س ، ص٢٤

= و د. محمد إبراهيم منصور (تحرير) القدس – التاريخ والمستقبل ، أسيوط (مصر) ، ١٩٩٦ م ، دار النشر والتوزيع بجامعة أسيوط ، انظر : موجز تاريخ القدس (كرونولوجى) ، ص ص ٨٣٣ – ٨٣٦ .
- ابن خلدون ، المقدمة ، الاسكندرية ، دار ابن خلدون ، د.ت ، ص٢٤٩ .
- إبراهيم ابن ناصر الناصر ، بنو إسرائيل والمسجد الأقصى – تاريخ ووقفات ، البيان (لندن) ، مايو ٢٠٠٢م ، ص ص ٣٢ – ٤١
- بيسان عدوان / الهيكل الثالث فى الحرم القدسى ، مختارات إسرائيلية (القاهرة) ، سبتمبر ٢٠٠١ م ، ص ص ٨٩ - ٩٢

تؤكد أعمال التنقيب البريطانية التى تمــت بتلــك المنطقــة عــام ١٩٦١م أن الوجود الكنعانى اليبوسى بها ، بالقدس تحديداً – يعود إلى ثلاثة آلاف عام ([٢]) .

كانت بعثة أثرية قد أجرت أعمال التنقيب تلك ، ولم تعثر من خلالهــا إلا على فخاريات منقوش عليها باللغة الكنعانيــة ، أن المؤسســين الأوائل لمدينة القدس هم اليبوسيون ، كما كشفت تلك البعثة أنه كان بالمنطقة التى وجدت بها تلك الآثار قلعة لليبوسيين([٣]) .

كان هذا من حيث نقطة البدء .. التاريخ .

أما من حيث الموقع فقد جعل اليبوسيون مقر ســكناهم – بــادئ الأمر – على بعض المرتفعات ، المجاورة لنبع ما لا ينضب ، وهو يدعى اليوم بعين أم الدرج ، فى قرية سلوان الواقعة فى الضاحية الجنوبية ، من مدينة القدس الحالية ، وقد حصن اليبوسيون ذلــك الموقع ، أو تلك المدينة ([٤]) .

---

[2] د. جوزيف موسى حجار ، م.س ، ص٧

[3] د. محمد عبد الرؤوف سليم ، حديث إلى قناة النيل للأخبار (برنامج : القدس عربية) ، إذاعة ٢٠٠٢/١١/٥م

[4] حجار ، م.س ، ص٧ .

وبمرور الزمن ، هجرت تلك المدينة ، وحلت محلها نواة رئيسية لمدينة أكبر ، تقوم على مرتفعات وتلال أخرى هي : مرتفع الزيتون ، مرتفع الحرم ، مرتفع صهيون ، وهذه تقع داخل ما يعرف حالياً بالقدس القديمة ، التي يحيط بها سور القدس الشهير ، الذي بناه السلطان العثماني سليمان القانوني ، في العصر الإسلامي ١٥٤٢م ، والمعروف بأبوابه السبعة (٥) .

أول اسم ثابت لمدينة هو (أورسالم) منذ أسسها الكنعانيون العموريون ، القادمون من جزيرة العرب ، في بداية العصر البرونزي ، أي قبل خمسة آلاف عام ، وهذا الاسم العموري يعني (أسسها سالم) ، وقد ورد في نصوص مصرية قديمة ، تعود إلى عهد سنوسرت الثالث (١٨٧٩-١٨٤٢ق.م) ثم ذكرت في ألواح تل العمارنة ، التي تضمنت ست رسائل ، بعث بها ملك المدينة (أورسالم) إلى إخناتون فرعون مصر إلى اليبوسيين ، وهم من بطون العرب أيضاً ، وقد بنوا قلعتها (صهيون) التي تعني

[5] محمد خالد الأزعر ، اية قدس ستكون موضع التفاوض ، صامد الاقتصادي (عمان – الأردن) ، أبريل ١٩٩٧ ، ص ١١-١٢

بالكنعانية (مرتفع) ، كما بنو هيكلاً لإلههم (ســالم)، فكــان بيتــاً للعبادة ([٦]) .

كان اسم (أورسالم) قد ظهر لأول مرة فى التــاريخ عــام ٢٥٠٠ ق.م ، على تماثيل مصرية صغيرة ، ووجد أيضاً هذا الاسم علـى ألواح أثرية أخرى ، اكتشفت مؤخراً فى سوريا . أما اسم (يبوس) فقد وجد فى رسالة آخر ملوك الكنعانيين (عبد حيبا) إلى فرعــون مصر (تحتمس الأول) عام ١٥٥٠ق.م ، يطلب فيهــا الأول مــن الأخير عونه وحمايته من بعض أعدائه ، وكان خاضعاً – تابعاً – له ([٧]) .

تذكر المصادر التاريخية أن الملك اليبوسى (ملكى صادق) هو أول ملك من بنى يبوس ، وكان محباً للسلام ، حتى أطلق عليه ملـك السلام ، ومن هنا جاء اسم المدينة (ســالم) . وبــرغم أن تلـك المدينة قد خضعت لفراعنة مصر فلم يحاولوا تمصيرها ، واكتفوا

---

[6] محمود حمدى زقزوق (إشراف) ، موسوعة المفاهيم الإسلامية ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٨م ، انظر : بيت المقدس ، ص ٣٨-٣٩

و: محمد صبيح ، القدس ومعاركنا الكبرى ، ط٢ ، القاهرة ، دار التعاون ، ١٩٩٨م ، ص ١٥٧ ـ ١٧٥

و: يواكيم مبارك ، القدس القضية ، ترجمة : مها نوح الخورى ، بيروت ، مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ١٩٩٦ ، ص٨

[7] سامى محمد عبد الحميد ، القدس فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠١م ، ص٦٩ . و : بيسان عدوان ، م . س .

بتحصيل الجزية من سكانها، وكانوا يطلقون عليها تارة اسمها اليبوسى (يابيشى) ، وتارة اسمها الكنعانى (أورسالم)([8]) .

لا تثبت المصادر التاريخية ([*]) ريادة العرب (الكنعانيون – اليبوسيين) فى عمران أرض فلسطين وتشييد مدنها وقراها فحسب ، بل إن من هذه المصادر ما يعود بتلك البداية إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد ، ثم إنها تلتقى جميعها ، ومعها المصادر اليهودية – كما سبقت الإشارة– على حقيقة أن تلك الأرض كانت ملكاً لهؤلاء العرب ، قبل أن تطأها قدما أبى الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – ، وقبل أن

---

[8] د. محمد محمد الفحام ، المسلمون واسترداد بيت المقدس ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٠م ، ص ص ٨-٩

و: د: أحمد صدقى الدجانى ، محاضرة عامة بالمؤتمر الثانوى الحادى عشر للبحوث السياسية ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ٦-١٢/٨/١٩٩٧
و: سامى محمد عبد الحميد ، م.س ،ص٧٠ .

[*] انظر :

- د. هند أمين البديرى ، أرض فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ – دراسة وثائقية ، القاهرة ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ١٩٩٨م ، ص ١٤١ – ٢٧٧ .
- وليم فهيم ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ص ٦٧ – ٩٥ .
- كيث وايتلام ، اختلاق إسرائيل القديمة ، إسكات التاريخ الفلسطينى ، ترجمة د. سحر الهنيدى ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، سبتمبر ١٩٩٩م .
- رجاء جارودى ، فلسطين أرض الرسالات ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ، دار التراث ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٧ .
- أسمهان شريح ، كنعان والكنعانيون ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، يوليو ٢٠٠٣م ، ص ص ١٠-٢٥ .

- د. عبد الرحمن رشدى الهوارى ، عروبة فلسطين فى التاريخ ، الوفد (القاهرة) ، ١٩٩٨/٥/١٥
- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمى ، عروبة القدس منذ ٤٠٠٠ ق.م ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/١١/٣٠
- وجيه أبو ذكرى ، القدس عربية عبر العصور ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

يكون هناك يهودية أو يهــود ، أو إســحاق أو داود . وظلــت تلــك الأرض عربية كذلك يوم نزل بها هؤلاء ، بل ويــوم تمكنــوا ، كمــا تمكن نزلاء أو غزاة كثيرون غيرهم من إقامة ملك (عــارض) لهــم بتلك الأرض ، سرعان ما سقط ، ثم زال .

لم تحظ مدينة فى التاريخ البشرى ، بما حظيت به القدس من أهمية ، جعلتها محط أنظار النازحين والنزلاء والغزاة ، وكان ذلك سبباً فــى احتلالها خمساً وعشرين مرة ، وتدميرها وإعادة بنائها ثمانى عشرة مرة ([9]) .

عندما هاجر سيدنا إبراهيم إلى هذه المنطقة ، قادماً من بلاد ما بــين النهرين " كان الكنعانيون حينئذ فى الأرض " ، كما تــذكر التــوراة ، وكانت (أورسالم) يسكنها هؤلاء ولهم ديــانتهم وملكهــم وعلاقــتهم بجيرانهم ، وتذكر التوراة أيضاً أن أمير يبوس (أور سالم) فى ذلــك العهد ، كان (ملكى صادق) ([10]) .

بينما يعود الوجود الكنعانى اليبوسى بتلك المنطقة إلى ثلاثة آلاف عام ، نجدنا لا نسمع بأى وجود للآراميين قبل عام ١٦٠٠ ق.م ،

---

[9] د. محمد حسن عبد الخالق ، القدس فى عيون يهودية ، الأزهر (القاهرة) مارس ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٧٢ ـ ٢٠٧٥ و : عطية حسن ، القدس – تم احتلالها ٢٥ مرة وتدميرها ١٨ مرة ، (القاهرة) ، ٢٠٠٠/١٢/٥م

[10] تكوين / ١٢ : ٥ ـ ٦ .

فإن نزوح القبائل السامية الآرامية من بلاد شمال ما بين النهرين واستيطانها فى الأراضى السورية ، يعود إلى ما بين ١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق.م ([11]).

رحل يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم ، وأبناؤه من فلسطين إلى مصر فى ١٦٢٠ ق.م ([12]).

وكان مكثهم فى مصر أربعمائة وثلاثية سنة ([13]) ، ثم رحل بنو إسرائيل من مصر بقيادة النبى موسى ١٢٥٠ ق.م ، وعبروا سيناء إلى فلسطين ، وذلك فى عصر رمسيس الثانى ([14]) .

دخل العبرانيون – بنو إسرائيل – فلسطين من جهة الشرق ، بقيادة يوشع بن نون واحتلوا أريحا ، ثم تسللوا إلى المناطق الجبلية (١١٥٢ – ١٠٢٥ق.م) ، وأصبح لهم تجمعان ، فى الشمال والجنوب ، لم يرتبطا معا إلا فى عهد داود ، الذى دخل مدينة سالم ١٠٠٥ ق.م ، واتخذها ، عاصمة لملكه ، ثم تسلمها

---

[11] حجار ، م.س ، ص٨

و: عبد التواب مصطفى ، نقض شريعة الهيكل ، ط١ ، القاهرة ، مركز الإعلام العربى ، سلسلة كتاب القدس ، عدد ١٥ ، ٢٠٠٣م ، ص١٣١ .

[12] د. سيد فراج راشد ، القدس عربية إسلامية ، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٠م ، ص ص ٣١-٥٨

[13] خروج / ١٢ : ٤ .

[14] راشد ، م.س ، ص٥٥

سليمان ، وأقام حولها سوراً على الأساسات التى وضعها اليبوسيون – بناة السور الأول – وبنى معبداً – ٩٦٠ق.م – على أنقاض معبد اليبوسيين القديم([١٥]) .

ما لبثت المملكة العبرية أن انقسمت بعد وفاة سليمان ، إلى إمارتين : إمارة يهوذا – أسرة داود وبنى يهوذا – وعاصمتها أورشليم (أورسالم) ، وإمارة إسرائيل فى السامرة ، وعاصمتها شكيم ، بالقرب من نابلس الحالية ([١٦]) .

قضى ملك أشور على إمارة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م وأجلى سكانها إلى بلاده ، وتعرضت الإمارة الثانية (يهودا) للعدوان الخارجى أكثر من مرة ، وكذا تعرض سكانها للسبى مراراً ، كان السبى الأول عندما تعرضت دولة يهودا لغزو بابلى ، بقيادة الملك (سرجون) الذى أسر من شعب يهودا (الكنعانى واليهودى) إلى بلاده أعداداً كبيرة ، وأصبح لهم نفوذ وأموال وعبيد فى ذلك المنفى ، كان السبى الثانى إلى بابل أيضاً ، واشتهر أكثر لارتباطه بهدم هيكل سليمان، فقد غزا ملك بابل (نبوخذ نصر) يهودا ، وكسر نهائياً عرش داود فى أورشليم

---

[15] عدوان ، م.س

[16] حجارة ، م.س ، ص ٩-١٦

، عام ٥٩٧ ق.م ، وقوض الهيكل من جذوره ، وعاد إلى بلاده بعشرة آلاف أسير من اليهود ، وكان هدم الهيكل فى ٥٨٦/٨/٩ ق.م ، ثم سمح (قورش) ملك فارس لليهود بالعودة إلى أورشليم ٥٣٨ ق.م ، وسمح لهم كذلك بإعادة بناء الهيكل ، فتم بناؤه فى عهد نبيهم (عزير) ، وأعانهم على ذلك ملك الفرس (بهمن) ، الذى حد لهم حدوداً دون بناء سليمان ، ثم تداولهم ملوك يونان والفرس والروم ، ثم استفحل الملك لصهرهم (هيرودوس) الذى حكمهم من قبل الرومان ، فجدد لهم الهيكل على بناء سليمان (١١ ق.م) ، غير أن أقلية منهم تمردت ، مطالبة بالحكم الذاتى ، فحاصرهم الامبراطور الرومانى (فسباسيان) ، ثم ابنه (تيتس) ، الذى تمكن من هدم الهيكل ، وتشتيت اليهود فى أطراف الإمبراطورية الرومانية (٧٠م) ، ولم تقم لهم قائمة بهذه المدينة ، حتى بداية الحركة الصهيونية الحديثة ، فى نهاية القرن التاسع عشر (١٧) .

---

[17] ابن خلدون ، م.س ، ص٢٤٩ .
و: سامى محمد عبد الحميد ، م.س ، ص٩٠
و: د. عبد الوهاب المسيرى (تاليف وإشراف) ، موسوعة المفاهيم ،م.س ، ص٤٢٥ .
و: ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مجلد ١ ، ج٢ ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م، ص٣٥٦-٣٥٧.
و: أحمد محمد عوف ، المؤتمرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية ، ط١ ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٩٢ ، ص١٠٧ .
و: عبد التواب مصطفى ، م.س ، صفحات : ١٨ - ١٩ ، ٢٤ - ٢٥ ، ١٣٢ - ١٣٣

وهكذا يتضح ترامى فترات الوجود اليهودى فى فلسطين والقدس ، وصفة هذا الوجود – غزوا أو نزوحاً أو لجـوءاً إليهـا – بينمـا تستمر القدس عربية ، حتى خاطبت السماء المسيح – آخر أنبياء بنى إسرائيل – وتلامذته ، إذ كان الصوت النازل مـن السـماء ، على المحتشدين فى أورشليم / القدس ، من الرسـل والتلامـذة ، يتحدث بالعربية ، إلى لغات أخرى ، كان يتحدث بها بقية قـاطنى المدينة ، من اليهود وغيرهم (١٨)

---

[18] للمزيد ، انظر :
- الكتاب المقدس ، أعمال الرسل ، الإصحاح الثانى .
- عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٩م ، ص ١٢ – ١٣ .
- يواكيم مبارك ، م.س ، ص٧
- عبد الحميد زايد ، م.س ، ص ص ٣٩ – ٤٤
- د. سيد فرج راشد ، م.س
- عمر عسل ، القدس – أرض كنعان ، القاهرة ، دار المأمون للطباعة ، ٢٠٠٠م
- طارق عزب ، القدس – صراع وتاريخ ، القاهرة ، مطابع الأهرام ، ٢٠٠١م ، ص ٦٣ – ٦٦ .
- سامى محمد عبد الحميد ، م.س ، ص ٦٩ – ٧٠ ، ١٤٤- ١٤٥ .
- محمد صبيح ، م.س ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .
- د. حسن ظاظا ، القدس ، هدية مجلة الفيصل – دار الفيصل الثقافية ، د.ت .
- د. رؤوف شلبى ، عودة القدس ، هدية مجلة الأزهر (القاهرة) ، إبريل ١٩٨٥ ، ص ١-٤٠ ز
- سامى خشبة ، بحث علمى يثبت أن اليهود غرباء عن فلسطين .. بالوراثة ، ملحق الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/١١/٣٠
- د. أحمد صدقى الدجانى ، قراءة فى تاريخ القدس ، تقرير القدس (القاهرة) ، ديسمبر ١٩٩٨ ، ص ص ١٧ – ٢٤
- إبراهيم مطر ، الحقوق العربية فى غربْ القدس وشرقها ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، أكتوبر ١٩٩٧ ، ص ٧٢ – ٨٣
- خليل السواحرى ، القدس القديمة – نظرة تاريخية ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، أكتوبر ١٩٩٧ ، ص ص ٣٠ – ٤٠

لقد عكف صفوة من الباحثين المتخصصين ، على تحقيق عروبة القدس خاصة وفلسطين عامة فيما يشبه انتفاضة علمية أو بحثية ، تكفي هذه الصفحات إعادة البحث فيما انتهى إليه هؤلاء . غير أنه من الأهمية بمكان – كما هو مستهدف من كتابة هذه الصفحات

- فيصل الخيرى ، القدس بين حقائق التاريخ وادعاءات الميثولوجيا ، صامد الاقتصادى (عمان - الأردن) ، أكتوبر ١٩٩٧ ، ص ص٤١-٥٤

- القدس بين حقائق التاريخ وواقع الجغرافيا ، الأسبوع (القاهرة) ، حلقات نشرت خلال يوليو / أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٠

- د. يوسف حسن نوفل ، تاريخ القدس عبر العصور ، ملحق الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/١٠/١٣
- فؤاد إبراهيم عباس ، مصادر عروبة القدس ، شئون عربية (القاهرة) ، ديسمبر ١٩٩٨ ، ص ٨ _ ٣٩
- د. محمد خالد الأزعر ، القدس . حيثيات عاصمة مطبوعة فلسطينيا مصنوعة إسرائيليا ، الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٩/٨

- صلاح عبد الرحيم محمد ، من أسماء القدس فى التاريخ ، صوت الأزهر (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٦/١٦م
- القدس ظلت عربية فى عهد داود ، صوت الأزهر (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٨/١٨م
- فهمى ناشد ، الحق العربى فى القدس ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٥/٣١
- سمير الهضيبى ، الحقوق العربية فى القدس ، الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٢/٢٧
-مدينة العرب المقدسة،الأهرام (القاهرة)،٢٠٠٠/٦/١٨ Jerusalem an Arab city , cairo state information service1981
- معصوم مرزوق ، كلام فى السياسة – القدس عروس عروبتنا – الدبلوماسى (القاهرة) ، أغسطس ٢٠٠٠ ، ص٣٢-٣٤

- لجنة يوم القدس (إعداد) ، يوم القدس – أبحاث الندوة السابعة ، الحقوق العربية الثابتة فى القدس " ، ٨/٥ تشرين الأول –أكتوبر ، عمان المركز الثقافى الملكى ، ١٩٩٧ ، وانظر :
- د. محمود عبد الحميد الزعبى ، العرب الكنعانيون بناة القدس ، ومدن فلسطين ، ص ص ٦١-٨٤
- د. حازم نسيبة ، الحقوق العربية الثابتة فى القدس ، ص ص ٣٧٩ _ ٣٨
- د. محمد الفرا ، القدس العربية إلى أين .. ؟ ص ص ٣٦٩ _ ٣٧٨
- د. مصطفى أحمد عفيفى ، الحقوق العربية فى مدينة القدس (رؤية تاريخية وقانونية فى ضوء قرارات منظمة الأمم المتحدة) ص ص٣٣٧-٣٦٠

- د. توماس تومسون ، التاريخ الخفي للمشكلة الإثنية فى فلسطين ،ص ص ٣٩ .
- د. مايكل برايور ، المشكلة الأخلاقية لتقاليد الأرض في التوراة ، ص ص ١٠٣ _ ١٥٤ .
- د. أحمد صدقي الدجاني ، الوجود اليهودي في القدس منذ أقدم العصور إلى نشوء الصهيونية السياسية ، بحث مقدم إلى الندوة العالمية حول القدس التي نظمها الاتحاد البرلماني العربي ، الرباط ٢٦-٢٨ نوفمبر ١٩٩٨م .

- الإحاطة بالإنتاج العلمي لهذه الصفوة المخلصـــة ليكـــون فـــي متناول غيرهم من الباحثين في هــذه القضـــية (١٩) وهـــو - أي

---

[19]- راجع : - أبحاث ندوة القدس في العقيدة الإسلامية والتاريخ العربي التي نظمها المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة - جامعة الأزهر ١٩٩٦/٦/٢٩م .
- الحق العربي في القدس المنعقدة بكلية الحقوق - جامعة القاهرة ١٩٩٨/٥/٢٠م.
- آثار القدس عبر العصور نظمها المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٥-٢٠٠٢/٣/٦م .
- د.محمد ابراهيم منصور ،م.س .
أنظر :
د. عادل سيد مصطفى ، البيوسيون في القدس القديمة حتى نهاية عهد سليمان ص ص ٢٠٠-٢٤٠ .
د. هابيل فهمي عبد الملك ، أورشليم / القدس منذ أقدم العصور حتى بداية العصر الرومانى ، ص ص ١٩٣ - ٢١٠ .
- د. فوزى رضوان العربى ، بيت المقدس تحليل تاريخى / مدخل انثروبولوجى ، ص ص ١٤٥ - ١٦٤
- محمد نبيل صادق ، القدس بين المزاعم اليهودية والحقوق التاريخية للعرب ، ص ص ٦٧ - ١٠٦ .
- د. عزت جرادات ، و: كمال أبو سماحة (تحرير) ، وقائع الندوة السنوية لشئون بيت المقدس (القدس ٥٠٠٠ عام) ، عمان - المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس ، ١٩٩٧ .
- د. حازم نسيبة ، القدس ٥٠٠٠ عام ، ص ص ٢٥ - ٢٦
- د. محمد على حلة ، القدس الشريف - حقائق التاريخ وآفاق المستقبل ، ص ص ٣٥ - ٣٧ .
- القدس وتحديات اليهود (وقائع المؤتمر الذى عقدته المؤسسات الأهلية اللبنانية لنصرة القدس - فى ١٩٩٧/٧/٢٨) بيروت ، الهيئة اللبنانية لنصرة ١٩٩٨ .
- د. عصام شبارو ، عروبة القدس ، ص ص ٣٦ - ٥٦ .
- د. حسن عباس نصر الله ، القدس فى التاريخ ، ص ص ٦٥ - ١٠٤ .
- جريس سعد خورى وآخرون (إعداد) ، القدس - دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية ، ط١ ، القدس ، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية فى الأرض المقدسة ، ١٩٩٦ .
- انظر :
- إبراهيم شعبان ، الحق العربى فى القدس ، ص ص ٢٦٣ - ٢٨٤
- رائف نجم ، عروبة القدس عبر التاريخ ، ص ص ١٨٩ - ١٩٨
- د. كمال فرح ، منذ فجر التاريخ والقدس هنا ، ص ص ١٨٥ - ١٨٨
- د. لويس حزبون ، أسوار القدس : معالمها التاريخية والأثرية ، ص ١١٩ - ١٤٤
- د. حامد زيان غانم (إشراف وتقديم) ، أعمال ندوة " فلسطين عبر عصور التاريخ " ، الجيزة ، مركز البحوث والدراسات التاريخية بجامعة القاهرة ، فيما بين ٢١ - ١٩٩٨/٣/٢٣
- ملخص بحوث مؤتمر مصادر تاريخ القدس ، القاهرة ، المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٩٩٨
- لجنة يوم القدس ، يوم القدس - أبحاث الندوة السابعة ، الحقوق العربية الثابتة فى القدس ، ٥-١٩٩٦/١٠/٨ ، عمان ، المركز الثقافى الملكى ١٩٩٧م

الإنتاج العلمي – كفيل أيضاً بأن يدحض محاولات التنكر للتـــاريخ العربى لمدينة القدس ، قبل الفتح الداودى ، سواء أكان هذا التنكر من جانب اليهود ، أم كان من جانب من سايرهم ، أو حذا حذوهم ، لغرض فى نفسه أو لسوء إدراكه (٢٠) .

إلى جانب كل الأدلة التاريخية السابق الإشارة إليها ، يضاف الدليل الميدانى ، الذى يتمثل فى كثافة الوجود العربى بالبلـــدة القديمـــة بالقدس ، ويحفظ لها هويتها العربية واضحة المعالم فى مظهرهـــا

- عبد الناصر عيسوى (إعداد) ، القدس .. بين الحق التاريخى والتوقيع على الأوراق – أعمال ندوة " سطور " ، سطور (لندن) ، يوليو ١٩٩٧ ، ص٢٢-٢٦ .

[20] هذه بعض صور التنكر اليهودى للتاريخ العربى لمدينة القدس ، وبعض نماذج من الحذو أو المسايرة فى الخطأ ، من جانب آخرين غير يهود :

أ – كانت المغالطة الكبرى من جانب عميد المؤرخين ، ول ديورانت ، عندما يسمى أرض كنعان أو فلسطين ب (بلاد اليهود) كما جاء فى ج٢ ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ و ٣٦٥ وج٨ ، ص٥١ – ٥٤ ، من موسوعة قصة الحضارة .

ب – بعد ان انتقل النبى داود إلى مدينة (أورسالم) ، واتخذها عاصمة لمملكته سماها (أورديفيد) ، لكن هذا الاسم الأخير ، لم يصمد أمام اسمها الأصلى ، وسرعان ما توارى (عن : أرض الإسلام ، برنامج تسجيلى ، قناة فلسطين الفضائية ، ٢٠٠٢/٩/١٥)

ج – لم تتورع الموسوعة البريطانية ، عن الوقوع فى خطأ مسايرة اليهود فى التنكر للتاريخ العربى لمدينة القدس قبل الفتح الداودى (د.محمد عبد الرؤوف سليم ، حديث إلى قناة النيل للأخبار – برنامج : القدس عربية ، إذاعة ٢٠٠٢/١١/٥م) .

د – حديثا ، كشف د. عبد الوهاب الكيالى ، المحاولات الاستعمارية لضرب عروبة القدس وفلسطين ، ومن خلال الوثائق الصهيونية والبريطانية والأمريكية فى مؤلفه : تاريخ فلسطين والحديث ، ط١٠ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٠

هـ - بينما يعود اسم (بلستين) إلى الأيام الأولى لهجرات قبائل جزر البحر المتوسط إلى أرض كنعان ، كما سبقت الإشارة ، تتنكر الدوائر الإعلامية الصهيونية المعاصرة لذلك ، وتزعم أن الرومان أطلقوا على (يهودا) اسما جديدا هو (بلستينا كما ورد فى :

Facts about Israel . jurasalem . information center . 2003 . p17 بما يوهم القارىء بأن الاسم الأصلى هو يهودا ، ذلك برغم أن الرومان نزلوا بتلك الأراضى (٦٣ ق.م) أى بعد عشرات من القرون ، كانت فيها معروفة باسم بلستين ، كما يؤكد التاريخ التقليدى – الكرونولوجى – لذلك القطر .

العام ، وطبيعة حياتهـا اليوميـة وأنشـطتها وآثارهـا وبنيتهـا الديموجرافية ، إذ لا يوجد بها أكثر من ٢٣٠٠ يهـودى ، بـين خمسة وثلاثين ألف عربى : مسلم / مسـيحى ذلـك بـرغم كـل الممارسات الإسرائيلية التى تستهدف اغتيال عروبة هذه المدينة ، من مصادرة للأراضى ، وهدم للمنشـآت (سـكنية – زراعيـة – صناعية – إدارية) وسياسات استيطان داخـل البلـدة وحولهـا، وأعمال ترانسفير وتهويد منظمة (٢١) .

ثم إن مظاهر الانقسام الفعلى على أرض الواقع بين شطرى مدينة القدس الشرقى والغربى ، والملامح المميـزة للشـطر الشـرقى (المبانى – الشوارع – السلوك العام – الخدمات – المؤسسـات – الديموجرافية – أنشطة عمرانية فلسطينية مضادة لسياسة التهويد الإسرائيلية) (٢٢) تؤكد البعد التاريخى لعروبة مدينة القـدس ؛ إذ ان أصالة عروبية شطرها الشـرقى ، تعـرى وتفضـح الوجـود الصهيونى المستحدث ، فى شطرها الغربى .

---

[21] د. نظمى الجعبة ، تاريخ الاستيطان اليهودى فى البلدة القديمة فى القدس ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت) ، ربيع ٢٠٠٢ ، ص ص ١٠٠ - ١١٠

[22] محمد الصواف ، وعصام محمد سعد (إعداد) ، قضية القدس – رؤى وآراء ، القاهرة ، هيئة الاستعلامات ، سلسلة دراسات دولية معاصرة ، إبريل ١٩٩٩ ، ص ص ٤ – ١٦ ، ٢٠ – ٤١ .

بينما يدرك المفكرون والمؤرخون اليهود ، مكانة القدس فى الفكر الإسلامى (٢٣) ، ويعلمون أن الكنعانيين هم المؤسســون الأوائــل لمدينة القدس (٢٤) ، فإنهم يعتبرون ، بدايــة الحكــم الإســلامى للمدينة هى بداية الوجود العربى بها ، متجاهلين الربط بين ذلــك الوجود العربى الكنعانى بالمدينة ، وبين الفتح الإسلامى ، الذى تم على أيدى العرب أيضاً (٢٥) .

---

[23] للمزيد راجع :

Jerusalem , Jerusalem , keter publishing house ltd , Israel pocket library , 1973 , see : - eliyahu ashtor , Jerusalem in mulim thought p p : 321 - 324

[24] للمزيد راجع :

op . cit . see : prof. Michael avi yonah , Jerusalem in the Canaanite period, p p : 6-8 -

[25] وتتجلى المغالطة فى القول بأن القدس ظلت معزولة عن أرضها الأم منذ بدأ العرب (غزو أرض إسرائيل – Arabs invaded Erez Israel) عام ٦٣٤ م وحتى سقطت هذه المدينة فى أيدى (الغزاة) نهائيا عام ٦٣٨م .

للمزيد راجع :

op . cit. see : prof . eliahu ashtor , and prof . haim z,ew Hirschberg in arab oeriod, pp: - 48 – 59

- وأحمد يوسف القرعى ، القدس من بن جوريون ، م.س ، ص٤٥ ؛ إذ يتحدث عن احتفالات إسرائيل بمرور ٣٠٠٠ عام على اتخاذ داود القدس عاصمة لمملكة يهودا ٩٦ ق. م

بل إن المغالطة تبلغ مداها حين يزعم (قاموس الكتاب المقدس) أن صهيون اسم عبرى ، برغم أن القاموس ذاته يقرر أن هذا الاسم أطلق أولا على إحدى الربوات التى أقيمت عليها أورشليم ، وكان ذكره لأول مرة فى العهد القديم كموقع لحصن يبوسى احتله النبى داود وسماه (مدينة القدس) ، هامش ، ص٧٧

(د. محمد عبد الله الشرقاوى ، الكنز المرصود فى فضائح التلمود ، ط١ ، بيرو ، دار عمران ، ١٩٩٣ ، هامش ، ص٧٧ .

الأمر الذى يعنى أن الحصن كان قائماً باسمه اليبوسى الكنعانى العربى قبل أن يدخل إليه النبى داود .

المبحث الثاني

البعد العقائدى لإسلامية قضية القدس

تتم معالجة هذا البعد من خلال تناول النقاط التالية :

أولاً : مكانة فلسطين فى العقيدة الإسلامية .

ثانياً : مكانة القدس فى العقيدة الإسلامية .

ثالثاً :مكانة المسجد الأقصى في العقيدة الإسلامية .

١ – دلالة لفظ (مسجد) في الخطاب الديني الإسلامي.

٢ – تاريخ المسجد الأقصى في الإسلام .

أ – تاريخ المسجد الأقصى قبل البعثة الإسلامية .

ب– تاريخ المسجد الأقصى بعد البعثة الإسلامية .

رابعاً : مكانة الصخرة المقدسة في العقيدة الإسلامية .

خامساً : إشكالية حائط البراق.

سادساً : مبدأ الدفاع عن الأوطان فى العقيدة الإسلامية

وفيما يلى تفصيل ذلك .

أولاً - مكانة فلسطين فى العقيدة الإسلامية :

قرر القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، أن أرض فلسطين كلها أرض مباركة مقدسة . وانعقد الإجماع على أنها أمانة فى أعناق المسلمين جميعاً . فى قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة) يتحدث القرآن عن ثلاث مجموعات من القرى : الأولى هى مجموعة قرى سبأ فى اليمن (وجعلنا بينهم) والثانية هى مجموعة قرى فلسطين بالشام (القرى التى باركنا فيها) والثالثة هى مجموعة قرى الحجاز ، المنتشرة على طول المسافة بين اليمن والشام (قرى ظاهرة) (٢٦) .

كذلك فإن التعبير القرآنى " باركنا حوله " المتعلق بالمسجد الأقصى فى قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) يفيد أن البركة محيطة بالحرم القدسى ، أى واقعة حواليه ، وليست مقصورة عليه (٢٧) .

أما تعبير (الأرض المقدسة) ، فلم يرد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة (٢٨) ، ومقصوداً بها أرض فلسطين ، قال النبى موسى -

---

[26] محمد على الصابونى ، صفوة التفاسير ، دمشق ، مكتبة الغزالى ، دت ، الآية رقم ١٨ من سورة سبأ .

[27] المرجع السابق ، تفسير الآية رقم ١ من سورة الإسراء .

[28] محمد فؤاد عبد الباقى ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨٧ ، ص٥٣٨

يحث بنى إسرائيل على الدخول إلى فلسطين ، فراراً من مذلة فرعون - : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) أى التى اختارها الله مأوى وملجأ لكم ، مما كنتم فيه من قبل [٢٩] .

بعد إبانة هذا البعد الجغرافى لقداسة أرض فلسطين - كلها - وبركتها ، يشير القرآن الكريم- أيضاً - إلى البعد التاريخى لهذه البركة ، فهى ثابتة لأرض فلسطين ، من قبل أن يدخلها بنو إسرائيل، بل قبل أن ينزل بها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل نفسه ، يقول تعالى: (ونجيناه - إبراهيم - ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين)[٣٠] .

تواصلت بركة فلسطين تاريخياً كذلك ، إذ كانت ميداناً شهد أخطر منعطفات جهاد الأمة الإسلامية - ولاتزال - ،وسياسياً هى مباركة أيضاً ، فهى أرض تمحيص وابتلاء ، وأرض رباط إلى يوم القيامة [٣١] .

ثانياً - مكانة القدس فى العقيدة الإسلامية :

إذا كان تبجيل الأماكن المقدسة قد سبق كل تأملات الإنسان فى طبيعة العالم ، كما يرى البعض [٣٢] ، وإذا كانت قداسة المكان

---

[29] الصابونى ، مرجع سابق ، تفسير الآية رقم ٢١ من سورة المائدة .

[30] المرجع السابق ، تفسير الآية رقم ٧١ من سورة الأنبياء .

[31] د. صلاح الخالدى ، فلسطين والحقائق القرآنية ، ط٢ ، القاهرة ، المركز العربى الإسلامى للدراسات ، ١٩٩٨ ، ص ص ١٤٣-١٤٥

[32] كارين أرمسترونج ، القدس : مدينة واحدة وعقائد ثلاث ، ترجمة : فاطمة نصر ومحمد عنانى ، القاهرة ، سطور ، ١٩٩٨م ، ص٢٩

قاسماً مشتركاً بين شتى الثقافات ، وأن الإيمان بها يعد من أساسيات العقائد الدينية الأولى فى حياة الإنسان ، وأن ما يعرف بـ (الجغرافيا المقدسة) قد أثرت ولاتزال تؤثر فى تاريخ القدس (٣٣) ، فإن ما تتميز به قداسة مدينة (القدس) لا يعود إلى الأسباب التقليدية ، التى تكسب الأماكن قداستها كذكريات الطفولة ، أو الخبرات الذاتية ، أو العلاقات بشخوص ما فى تلك الأماكن ، بل إن قداسة هذه المدينة ، وفى مركزها بيت المقدس ، تعود إلى ما ورد بشأنها فى الكتب السماوية المقدسة ، وما شهدته أرضها من أحداث ، كان رسل الله وأنبياؤه شخوصها الرئيسية .

بعد الفتح الإسلامى لمدينة إيليا – القدس – فى (٦٣٦ م – ١٦هـ) (*) ، كان (بيت المقدس) أحد الأسماء التىاشتهرت بها

[33] د. محمد جلاء إدريس ، أورشاليم القدس فى الفكر الدينى الإسرائيلى ، ط١ ، القاهرة ، مركز الإعلام العربى ، مسلسلة كتاب القدس (٤) ، إبريل ٢٠٠١ ، ص ٨٠٧ .

* راجع تفاصيل وقائعه ، ونبوءات اليهود ، وبشرى النبى محمد صلى الله عليه وسلم بفتح عمر لبيت المقدس (قال محمد صلى الله عليه وسلم لعمر : (إنك ستفتح بيت المقدس بلا قتال) ، وقال كعب الأحبار له : إنا نجد نعتك فى التوراة) فى :

- أحمد كمال الطوبجى ، لن تلقى مثل عمر ، ج١ ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٧ ، ص ص ٢٣٦ – ٢٤٠ .

- سامى محمد عبد الحميد ، م. س ، ص ٧٩ .

- د. محمد إبراهيم منصور ، م. س ، انظر : د. عبد المنعم عبد المجيد سلطان ، دراسة وثائقية من خلال أحداث الفتح الإسلامى للقدس، ص ص ٢٤١ – ٢٥٩ . وراجع أسفار : حزقيال ودانيال .

تلك المدينة . ووردت لهذا الاسم صور عديدة ، منها البيت المقدس – القدس الشريف – المدينة المقدسة . ولقبت بألقاب منها : دار السلام – مدينة السلام ([٣٤]) .

على مدى تاريخها الطويل ، منذ أسسها اليبوسيون وأقاموا سورها الأول ، أعيد بناء القدس ثمانى عشرة مرة ، حتى استقرت على هيئتها فى العهد العثمانى داخل السور الحالى الذى أقامه السلطان سليمان القانونى ١٥٣٦ – ١٥٤٢ ، ويبلغ طوله ٤٢٠٠ م ، يشغل الجدار الشرقى والجنوبى للحرم الشريف – ٦٠٠ م – من ذلك السور الذى تتباين مستويات ارتفاعه ، ويصل أعلاه إلى ثلاثين متراً ، ولا يزيد سمكه على المترين . وتتداخل تلال القدس مع أسوارها وأبوابها التاريخية ([٣٥]) .

لم تقف مكانة القدس فى العقيدة الإسلامية عند حد الرسوخ فى القلوب والأفئدة ، بل باتت تمثل أمانة فى أعناق المسلمين ([**]) ، عليهم بذل أقصى الجهد والطاقات حتى يتم استردادها .

---

[34] د. محمود حمدى زقزوق (إشراف) ، موسوعة المفاهيم ، م.س ، س . ص ٣٨-٣٩ .

[35] د. محمد حسن عبد الخالق ، القدس فى عيون يهودية ، الأزهر (القاهرة) ، ذو الحجة ١٤٢٢هـ .

[**] للمزيد راجع :

وبينما لايزال ضمير الأمة ضمير الأمة حياً قابضاً على قداســة هذه المدينة ([36]) ، فإنه نتيجة لمستجدات دولية (فكرية وسياســية)

- كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، ١٩٦٨ ، انظر :
- عبد الحميد السايح ، مكانة القدس في الإسلام ، ص ص ٦٥ – ١١٠ .
- إسحاق موسى الحسيني ، مكانة بيت المقدس في الإسلام ، ص ص ٥٧ – ٦٤ .
- عبد الحميد حسن ، مكانة بيت المقدس في الإسلام ، ص ص ٤٥ – ٥٦ .
- د. عبد الرحمن عياد ، مكانة القدس في الإسلام ، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي السابع لمركز الدراسات العربي الأوروبي حول "مستقبل القدس العربية" ، الدار البيضاء في (٢٣-٢٥/٢/١٩٩٢)
- عكرمة صبري ، منزلة القدس في الإسلام ، بحث مقدم إلى ندوة " القدس مدينة السلام " التي نظمتها المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية بالقاهرة في ١٢-١٤/٣/١٩٩٥
- د. عزت جرادات ، م. س ، انظر :
- د. عبد العزيز الخياط ، مكانة القدس في العقيدة الإسلامية ، ص١٦-١٨
- د. عبد الحليم عويس ، الوثيقة العمرية ، بحث مقدم إلى ندوة " أمن وقدسية المسجد الأقصى " التي نظمها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية بالقاهرة ، ٢٠-٢٢/١٢/١٩٨٨ .
- د. محمد إبراهيم الفيومي ، عمر بن الخطاب والقدس ، الأزهر (القاهرة) ، إبريل ٢٠٠٢ ، ص ص ٦٤ – ٦٦ .
- أحمد الموصلي ، الهوية الإسلامية العربية لمدينة القدس ، الملف العربي – الأوروبي (باريس) ، مارس ١٩٩٩ / ص ٧-٨
- د. أبو اليزيد العجمي ، القدس المغتصب في وجدان المسلمين ، التبيان (القاهرة) ، مارس ١٩٩٩ ، ص ١٢ – ١٣ .
- د. محمد عمارة ، القدس أمانة عمر في انتظار صلاح الدين ، هدية منبر الإسلام (القاهرة) ، رجب ١٤١٦هـ
- د. يوسف القرضاوي ، القدس قضية كل مسلم ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠١م ، ص ص ٧-١٥
- د. رؤوف شلبي ، عودة القدس ، مرجع سابق ، ص ص ٤١ – ٧٤
- محمد محمد الفحام (شيخ الأزهر السابق) ، المسلمون واسترداد بيت المقدس ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، عدد ١٩ ، أغسطس ١٩٧٠
- د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، م. س ، ص ص ١٧٥ – ١٨٠
- عارف باشا العارف ، م.س ، ص ص ٤١ – آخر الكتاب
- د. عبد الحميد زايد ، م. س ، ص ص ١٦٩ – ٢٠٨
- د. سيد فرج راشد ، م.س ، ص ص ٣٨-٤٧
- د. عدنان علي رضا النحوي ، على أبواب القدس ، ط٢ ، الرياض ، دار النحوي ، ١٩٩٣ ، ص ص ١٤ – ٣٢
- جريس سعد خوري ، م. س ، انظر :
- نجيب الجعبري ، العهدة العمرية ، ص٢٧ .
- يونس عمرو ، القدس في الإسلام ، ص١٧

[36] راجع :

ونتيجة للمواقف المتراخية لغالبية الحكومات والقيادات السياسية فى العالم الإسلامى ، وما قبلت أو كادت أن تقبل به ، من تنـــازل عـــن بعض هذه المدينة المقدسة ، فقد أصيب البعض بما يشبه اليـــأس ، من إمكانية استمرار القبض على قداسة هذه المدينة ، هذه القداســـة التى باتت تنزوى وتخبو وتتساقط عن مدينة القدس([٣٧]) .

ثالثاً - مكانة المسجد الأقصى فى العقيدة الإسلامية :

تتضح أبعاد هذه المكانة بالوقوف على ثلاث نقاط هى :

١ - دلالة لفظ (مسجد) فى الخطاب الدينى الإسلامى :

لدلالة هذا اللفظ - اصطلاحاً ([*]) - فى الخطاب الدينى الإسلامى ، بعدان : جغرافى وتاريخى.

يشير إلى البعد الجغرافى للفظ (المسجد) ، الحديث الشريف : [جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً] ([٣٨]) إذ جعل مـــن أى بقعـــة طاهرة فى الأرض مسجداً .

- د. مصـــطفى الفقـــى ، زهـــرة المـــدائن مـــن الحقـــائق الأساســـية إلـــى الـــدعاوى الدينيـــة ، الأهـــرام (القـــاهرة) ، ٢٠٠٠/١٠/١٧
- د. أحمد يوسف ، (عرض كتاب) ، القدس بين القداسة والسياسة - كتب فصوله باحثون عديدون ، حلقات نشرت بالأهرام (القاهرة) ، أكتوبر ٢٠٠٠م .
- فهمى هويدى ، مراجعات مقدسية ، الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٨/٢٢م .

[37] د. محمد يحيى ، القدس والمقدس ، تقرير القدس (القاهرة) ، مارس ١٩٩٩ ، ص ص د-٩

[*] غنى عن الذكر فى المتن أن المقصود به - لغة - : مكان الصلاة ، باعتبار السجود هو أعمق أركانها .

ويشير إلى البعد التاريخى ، شواهد عديدة ترجع إلى بدء تاريخ (الإسلام) بمفهومه العام : دين التوحيد الذى بُعث به كل الأنبياء ، من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

أول هذه الشواهد ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم ، من حديث أبى ذر الغفارى ، قال : [قلت يا رسول الله : أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : " المسجد الحرام " ، قلت : ثم أى ؟ قال : " المسجد الأقصى " ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة " (٣٩) على اختلاف بين العلماء فيمن بنى المسجدين ، آدم وآبناؤه أم إبراهيم وأبناؤه : إسماعيل فى مكة ويعقوب فى أورسالم ، واتفاق بينهم – العلماء – على أن هؤلاء وأولئك هم جميعاً مسلمون ، لا يفرقون بين أحد من رسل الله . وثانيهما : ما ورد فى القرآن الكريم: (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) (٤٠) وذلك فى حديثه عن أصحاب الكهف ، أى منذ مدى تاريخى بعيد .

---

[38] محمد فؤاد عبد الباقى ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخارى ومسلم) ، ط١ ، ج١ ، القاهرة ، دار الريان للتراث، ١٩٨٧، ص١٠٤ ، حديث (٢٨٩) .

[39] محمد فؤاد عبد الباقى ، اللؤلؤ والمرجان ، م. س ، ج١ ، ص١٠٤ .

[40] الكهف : ٢١

كذلك فى مقدمته ، قال ابن خلدون : " وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ، أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ، ودفن كثير من الأنبياء من ولد إسحاق عليهم السلام حواليه .. وأراد داود عليه السلام بناء مسجد على الصخرة مكانها (*) فلم يتم له ذلك ، وعهد به إلى ابنه سليمان ، فبناه لأربع سنين من ملكه ، ولخمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام.. فلما جاء تيتس – من ملوك الروم – وغلبهم – بنى إسرائيل – وملك أمرهم ، خرب بيت المقدس ، ومسجدها ، وأمر أن يزرع مكانه (٤١) .
وفى حديثه عن " هيكل سليمان " قال أحمد بهجت : [وكان سليمان قد بنى لله مسجداً أو معبداً.. وكان مسجداً للمؤمنين الموحدين] (٤٢) .
كذلك ، فيما نسب إلى المسيح وحوارييه ، أن هؤلاء قالوا : (يا مسيح الله ، انظر إلى مسجد الله (*) ما أحسنه ! قال : " آمين آمين . بحق ما أقول لكم ، لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله " (٤٣) .

---

* أى مكان قبة موسى ، التى وضعها بنو إسرائيل على الصخرة ، وكانت قبلة لهم .
[41] المقدمة ، م. س ، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٩
[42] أنبياء الله ، ط١٤ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٧ ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٩١
* الهيكل الذى بناه هيرودوس – حاكم فلسطين من قبل الرومان – ١١ ق.م ، وهدمه الرومان ٧٠م .
[43] ابن كثير ، قصص الأنبياء ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، د ت ، ص٥٠٣

جاء حديث القرآن الكريم – لاحقاً – عن البقعة المقدسة ذاتهـا ، مستخدماً تعبير (المسجد الأقصى) فى صدره سـورة الإسـراء ، متضمناً المعانى التالية – بعضها أو جميعها – :

أ – الشأن العام والملازم لهذه الأرض ، منذ أول يـوم جعلـت فيـه مسجداً ، يوم بنى ذلك المسجد يعقـوب نبـى الله ،ومسـلمو بنـى إسرائيل.

يؤكد هذا ما ورد فى كتب أحاديث الصحاح ، من حديث تجلية الله بيت المقدس للرسول صلى الله عليه وسلم ، ليصـفه لأصـحابه ولمكذبيه ، صبيحة ليلة الإسراء والمعراج (٤٤) .

ب – البشرى لنبى الله – محمد – صلى الله عليـه وسـلم وصـحابته بتحرير تلك البقعة،والعودة بها إلى سيرتها أو شأنها الأول مسجداً (٤٥)

ج – ما سيؤول أو يصير إليه شأن هذا المكان المهمـل ، يـوم يصبح – يعود – مسجداً ، وهو عرف لغوى مستقر ، باسـتخدام الفرع للدلالة على الأصل ، كما ورد فى القرآن الكريم (٤٦) : (قال

---

[44] انظر – مثلا – فصل : باب مسجد بيت المقدس ، بصحيح البخارى . ود. محمد سعيد رمضان البوطى ، فقه السيرة ،ط٧ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨ ، ص١١٦

[45] د. صلاح الخالدى ، م.س ، ص ص ١٤٢ – ١٤٣ .

[46] يوسف : ٣٦

أحدهما إنى أرانى أعصر خمرا) ، فقد أطلق (الخمر) للدلالة على (العنب) ؛ فإن العنب هو الذى يعصر ليصير خمرا (٤٧) .

يفهم من كل ما سبق ، أن لفظ (مسجد) فى الخطاب الدينى الإسلامى ، مطلق الدلالة على مكان العبادة أو دارها ، وأنه يمتد تاريخياً بامتداد مفهوم (الإسلام) ، ليشمل دور العبادة للمؤمنين بهذا الدين – الموحدين – من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن تكثف استخدامه أو قصرت دلالته – مؤخراً – على دار عبادة أصحاب الشريعة الخاتمة – المحمدية – فى سلسلة شرائع دين الله – الإسلام – (*) .

٢ – تاريخ المسجد الأقصى فى الإسلام :

كما سبقت الإشارة ، يقصد بـ (الإسلام) هنا دين الله – التوحيد – الذى بعث به جميع الأنبياء ، وتكاملت شرائعه المتعاقبة ، ختاماً

---

[47] سامي محمد عبد الحميد ، م.س ، ص٧٤

* ظل المسجد الأقصى مسجداً لمسلمي بني إسرائيل منذ بناه نبي الله يعقوب ، واشتهر بالمعبد أو الهيكل ، منذ عهد نبي الله سليمان ، ثم انقطعت علاقة بني إسرائيل بذلك المسجد (المعبد / الهيكل) منذ كفر هؤلاء بالمسيح – ثم المسيح ومحمد – ولم تعد لهم ولاية دينية على المسجد الأقصى ، فقد باتت هذه الولاية للمسلمين المؤمنين بكل الأنبياء ، وآخرهم محمد – صلى الله عليه وسلم – الذى كان إسراؤه إلى المسجد الأقصى ، وكان معراجه إلى السماء منه أيضا ، وكان قبلته الأولى في الصلاة .

وقد سبق – في المطلب الأول من هذا البحث – أنه ليس لبني إسرائيل – أيضا ولاية سياسية على المكان ؛ فهي – السيادة أو الولاية السياسية – حق لشعب الإقليم – الفلسطينيين – الذين (كانوا في الأرض – بنص التوراة) قبل أن يلجأ إليها بنو إسرائيل بل وقبل أن ينزل بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ذاته .

برسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويكاد يكــون تــاريخ المسجد الأقصى ملازماً لمسيرة هذا الدين ، تماماً كشأن المســـجد الحرام ، منذ وضع أساسهما الأول ، أبو البشرية وأول الأنبياء ، آدم عليه السلام .

أ – تاريخ المسجد الأقصى قبل البعثة المحمدية :

تربط الروايات القديمة المتوارثة ، بين القدس وآدم عليه السلام ، الذى بنى بها مسجد بيت المقدس ، وقد ورد فــى الأثــر ، عــن الصحابى عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أنه قال : " بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته " ، ثم أقام اليبوسيون – مؤسســو المدينة – هيكلاً لإلههم (سالم) ، واتخذوه بيتاً للعبادة (٤٨) .

ثم أقام الصابئة – وهم عبدة الكواكب معاصرو سيدنا إبــراهيم – هيكلاً للزهرة ، على صخرة بيت المقدس ، وكانوا يقربون إلى ذلك الهيكل زيتاً يصبونه على الصخرة ، ثم دثر ذلك الهيكل .. ولعــل سبب بناء الصابئة هيكلاً على الصخرة أنها كانت مكاناً للعبــادة ، كما كانت العرب فى الجاهلية تضع الأصنام والتماثيل حول الكعبــة

---

[48] د. محمود حمدى زقزوق ، موسوعة المفاهيم ، م.س ، ص د ١ .

وفى جوفها (٤٩) ، ثم اتخذ إبراهيم من تلك البقعة المقدسة مسجداً (٥٠) ، وكما سبق فقد كان بين بناء (أو إعادة رفع قواعد) المسجدين- الحرام والأقصى- أربعون سنة .

وعند أهل الكتاب أن يعقوب – عليه السلام – هو الذى أسس المسجد الأقصى ، وهو مسجد إيليا بيت المقدس .. وما جاء فى الحديث الشريف من أن سليمان بن داود – عليهما السلام – لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثاً ..الحديث "، فالمراد من ذلك ، أنه جدد بناءه، لما تقدم من أن بين بناء المسجدين (الحرام والأقصى) أربعين سنة (٥١) .

نزل الوحى على نبى الله يعقوب فى تلك البقعة الطاهرة أيضاً ، فنذر أن يبنى لله معبداً – مسجداً – فيها . فعاود ملك الوحى يعقوب ، وبشره باسمه الجديد (إسرائيل) تكريماً لما عزم عليه من النذر ، وتنفيذاً لنذره ، اشترى يعقوب تلك البقعة من أورشليم ، وبنى المعبد – المسجد – وسماه (بيت إيل) أى بيت الله ، وبنى مذبحاً ، نسبه أيضاً إلى إله إسرائيل ، أى (إيل) (٥٢) .

---

[49] ابن خلدون ، م.س ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، و: ص ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

[50] د. ابراهيم بن ناصر الناصر ، بنو إسرائيل والمسجد الأقصى .. ، م.س

[51] ابن كثير قصص الأنبياء ، م.س ، ص١٤٧-١٤٨ ، والثلاث التى سألها سليمان هى : " رب اغفر لى ، وهب لي ملكاً ، لا ينبغى لأحد من بعدى " وتضمنتها الآية رقم ٣٥ فى سورة (ص) بالقرءان الكريم .

[52] المرجع السابق ، ص ص ١٩٥ ـ ١٩٨

عند مكث النبى موسى مع بنى إسرائيل فى تيه سيناء ، صنع لهم قبة تكون قبلة ، وكانت وسط خيامهم ، ولما دخل بهم نبى الله (يوشع) بيت المقدس وضع القبة ذاتها على صخرة بيت المقدس (*) ، وكانت قبلة لهم حتى بادت ، فصلوا إلى محلتها – الصخرة – وظلت الصخرة قبلة الأنبياء ، حتى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام (٥٣) .

وكما سبق ، ففى تلك المرحلة أيضاً ، كان النبى الملك سليمان بن داود – عليهما السلام – قد أقام بيتاً للرب فى المكان نفسه ، اشتهر بـ (الهيكل) أو (المسجد) ، وظل ذلك المسجد داراً لعبادة المؤمنين ، الموحدين من بنى إسرائيل ، حتى آخر أنبيائهم عيسى – عليه السلام – فلما أنكروا نبوته ، توعدهم بخراب ذلك البيت ، ثم انقطعت ولايتهم تماماً عليه ؛ لكفرهم بكل من عيسى ومحمد – عليهما السلام – وباتت الولاية على ذلك البيت ، للمؤمنين بكل الأنبياء وخاتمهم محمد ، أى المسلمين .

---

* يوشع هو أول نبى بعث فى بنى إسرائيل ، بعد موسى عليهما السلام – وفى عهده كان (شاول) أول ملوك بنى إسرائيل ، والذى خلفه ابنه فى الحكم ، ثم جاء النبى داود ، ثالث ملوك بنى إسرائيل ، وكان أول من جمع الله له الملك والنبوة معا .

[53] ابن خلدون ، م.س ، ص٢٤٩

ب – تاريخ المسجد الأقصى بعد البعثة المحمدية :

بدأت العلاقة المباشرة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالمسجد الأقصى ، منذ ليلة الإسراء والمعراج ، فى السابع والعشرين من رجب ، قبل عام من هجرته عليه السلام ، فإلى هذا المسجد كان الإسراء بهذا النبى الخاتم ، ومنه كان معراجه إلى السماء ، وحتى ١٦ شهرا بعد الهجرة ، وعده الرسول صلى الله عليه وسلم ، أحد ثلاثة مساجد كبرى فى الإسلام ، لا تشد الرحال إلا إليها ؛ لشأنها الخاص ، وكما سيأتى فقد بدأت رحلة المعراج من فوق الصخرة المقدسة بالمسجد نفسه .

وروى البخارى ومسلم وأحمد ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: [لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى (بيت المقدس) نمت فى الحجر ، فجلى الله لى (بيت المقدس) فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه] (٥٤) . ويشتمل صحيح البخارى على فصل بعنوان (باب مسجد بيت المقدس) . وكذا ، فقد أثر أنا أبا بكر طلب من النبى أن يصف له بيت المقدس ، إذ سبق لأبى بكر أن زاره ،

---

[54] د. محمود حمدى زقزوق ، المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة ، بحث مقدم إلى ندوة ، القدس : ماضيها وحاضرها " التى نظمتها جامعة الأزهر ، فى ١٩٩٥/١١/١٢

فى أسفاره إلى الشام ، قبل بعثة الرسول ، وضمن الحديث – فـــى الصفحات التالية – عن مكانة قبة الصخرة وإشكالية حائط البراق ، تفاصيل أخرى تؤكد مكانة المسجد الأقصى فى عقيدة المسلمين ، كما استقرت فى حياة النبى ، محمد صلى الله عليه وسلم .

يذكر أنه برغم القداسة والبركة ، اللتين تقررتا فى القرآن والسنة ، لأرض المسجد الأقصى ، ككل أرض القدس وفلســطين ، فــإن أرضه ليست حرما – كما هو متداول خطأ – لأن للحرم فى الإسلام أحكاماً شرعية معروفة ، يعمل بها فى مكــة والمدينــة ، فهمــا الحرمان ، ولكن لم يشرع العمل بتلك الأحكام،فى بيت المقدس(٥٥)

وقد جمع البعض للمسجد الأقصى سبعة عشر اسما ، منها: مسجد إيلياء – بيت المقدس – بيت إيل – صهيون – أورشليم (٥٦) .

اشتهر هذا المسجد أيضاً بـ (الحرم) القدسى ، وتقدر مســاحته بـ : ٢٦٠٦٥٠ مترا مربعا ، يضمها سور بلغ طوله من الناحية

---

[55] راجع فتاوى ابن تيمية ، ج٤: ١ ، ص٢٧ ، نقلا عن : عبد العزيز كامل ، زفرات قلم مع القدس فى محنتها ، البيان (لندن) ، ديسمبر ٢٠٠٠ ، ص ص ٨٤/٨٨

[56] للمزيد عن أسمائه وأصل بنائه وصلاة النبى به ليلة الإسراء ، وفضله ، وأحكامه ، راجع : محمد بن عبد الله الزركشى ، إعلام المساجد ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغى ، ط٢ ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٩ ، ص ص ٢٧٥ ـ ٢٩٨

الشرقية ٤٢٤ مترا ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترا ، وقد أجمع المؤرخون والعلماء على إطلاق (المسجد الأقصى) علـــى مـــا دار عليه السور وفيه الأبواب ، وهو الذى كان معروفاً عند الإســـراء والمعراج (٥٧) .

ولم يكن بتلك الساحة – ليلة الإسراء – بناء معـــروف بالمســـجد الأقصى ، ولا بناء آخر معروف بمسجد قبة الصخرة ، ولا ســـائر الأبنية المنتشرة الآن ، بساحة المسجد الأقصى – الحرم القدسى– ، وإنما بناها المسلمون لاحقاً . كان أولهـــا المســـجد المعـــروف بالمسجد العمرى ، إذ عندما جاء عمر بن الخطاب إلى القدس عام الفتح – عام ١٦ هــ – استشار كعب الأحبار : أين يقع المسجد ؟ فقال له : اجعله وراء الصخرة ، قال عمر : ضاهيت اليهـــود يـــا كعب ، بل نجعله صدر المسجد . ثم بنى عبد الملك بـــن مـــروان المسجدين ، المعروفين بالمســـجد الأقصـــى ومســـجد الصـــخرة

---

[57] للمزيد ، راجع :

- د. محمود حمدى زقزوق ، المسجد الأقصى ، م.س، انظر : عكرمة صبرى ، الأقصى من الناحية الدينية والعقائدية ، ص ص ١٣-١٦

- أيمن مجاهد ، إلا القدس .. يا عرب ، ط١ ، القاهرة ، دن ، ١٩٩٧ ، ص٦-٧ ، وبه إشارة إلى فتوى علماء المسلمين وقضاتهم فى الضفة الغربية بهذا الشأن فى ١٩٦٧/٨/٢٣ ، وتصديق مجمع البحوث الإسلامية – بالأزهر الشريف – عليها فى دورته المنعقدة فى مارس ١٩٩٨ .

(٦٩١م) (٥٨) ، وهكذا اتخذ عمر بن الخطاب من المكان المهمل الخالى – الذى بنى عليه قبل أجيال هيكل هيرودوس – موضعاً لبناء أول مسجد للصلاة ، له وللمؤمنين معه . وعرف هذا المكان فى الإسلام باسم الحرم الشريف (٥٩) .

وإن أطلق المسلمون – بمرور الزمن – " الأقصى " على الجزء المغطى من الحرم القدس ، ومساحة من ٤٤٠٠ متر مربع ، من قبيل إطلاق الكل على الجزء – مجازاً مرسلاً – فإن هذا لا يغير من الحقيقة الدينية ، بأن الأقصى هو الكل ، وأنه يشمل جميع المناطق بالحرم الشريف (٦٠) .

رابعاً - مكانة الصخرة المقدسة فى العقيدة الإسلامية :

سبقت الإشارة إلى أن الصابئة ، أقاموا هيكلاً على صخرة بيت المقدس . وغلب الظن – فى تفسير ذلك السلوك – أن الصخرة

---

[58] سامى محمد عبد الحميد ، م.س ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ ، ود. محمود حمدى زقزوق ، المسجد الأقصى ، م.س .

[59] جوزيف موسى حجار ، م.س ، ص٣٧ .

[60] أيمن مجاهد ، م.س .

وعكرمة صبرى ، الأقصى من الناحية الدينية .. ، فى : جريس سعد خورى ، م.س . ولتعرف مكونات الحرم القدسى الشريف ، راجع:

- جريس سعد خورى ، م.س ، انظر :
- د. لويس حزبون ، المتحف الإسلامى فى رحاب الحرم القدسى ، ص ص ١٤٥ ـ ١٥٧
- د.يونس عمرو ، رقوم المسجد الأقصى فى القدس ، ص ص ١٥٩ ـ ١٨٤
- the online quide to al – hstsm alsharif in Jerusalem (http:// aqsa.com/index.html)

كانت مكاناً للعبادة ، منذ أقام أبناء آدم البناء الأول للمسجد الأقصى فى هذه البقعة . و كان العرب يضعون الأصنام حول الكعبة ، للعلة ذاتها . وسبقت الإشارة - كذلك - إلى أن أبا الأنبياء إبراهيم اتخذ من تلك البقعة المقدسة مسجداً ، وإلى أن النبى يعقوب - إسرائيل - كان يتلقى الوحى عندها ، ثم نصب عليها النبى يوشع القبة ، التى كان قد صنعها النبى موسى لبنى إسرائيل ، فى تيه سيناء ، واصطحبوها معهم إلى بيت المقدس ، وأن تلك القبة ظلت - فوق الصخرة - قبلة بنى إسرائيل حتى بادت ، فصلوا إلى محلتها ، أى الصخرة ، وأن الصخرة ظلت قبلة الأنبياء ، حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم .

بعد صلاة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء فى بيت المقدس ، ليلة الإسراء ، صعد به جبريل صخرة بيت المقدس - وكانت تعرف بصخرة يعقوب - ومنها بدأت رحلة المعراج([٦١]).

---

[61] سامى محمد عبد الحميد ، م.س ، ص ٨١-٨٢
و: الطوبجى ، لن تلقى مثل عمر ، م.س ، ص٢٥٠
و: الموسوعة العربية العالمية ، م.س ، ص٨٨

لما نزل عمر بن الخطاب بالقدس ؛ لتسلم مفاتيحها ، سأل عن الصخرة ، فأرى مكانها ، وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها ، وبعد أن طهرها من الأخباث وضع مسجداً – على طريق البداوة – أمامها ، حيث صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالأنبياء ليلة الإسراء (٦٢) .

فى اختياره مكان هذا المسجد ، لم يأخذ عمر بما أشار به عليه كعب الأحبار – يهودى أسلم فى حياة النبى وصحب عمر فى هذه الرحلة – ولا بما أشار به عليه الأسقف صفرينوس – كبير أساقفة إيليا أو بيت المقدس – إذ أشار الأول بأن يتخذ عمر من الصخرة قبلة ، وأشار الثانى بأن يكون موضع المسجد (على الصخرة التى كلم الله يعقوب عليها) وكان قرار عمر أن يبنى المسجد أمام الصخرة ، فى مكان قريب منها (٦٣) .

بقيت الصخرة محوطة برعاية المسلمين ، من يومئذ إلى أن قام عليها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان – ٦٩١ م – قبة ،

---

[62] ابن خلدون ، م.س ، ص ٢٥
و: ابن كثير ، قصص الأنبياء ، م.س ، ص٥٣٩
[63] أحمد كمال الطوبجى ، لن تلقى مثل عمر ، م.س ، ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤١

بالغ فى العناية بعمارتها (٦٤) .. غير ان ابن خلدون يذكر أنه لما ضعفت الخلافة ، زحف الفرنجة إلى بيت المقدس فملكوه .. وبنوا على الصخرة كنيسة .. حتى إذا استقل صلاح الدين بملك مصر والشام ، جاهد من كان به من الفرنجة ، حتى غلبهم على بيت المقدس ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م ، وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة ، وبنى المسجد على النحو الذى هو عليه اليوم (٦٥) . وبقطع النظر عمن بنى هذه القبة العتيقة – عبد الملك بن مروان ، أو صلاح الدين – فهى الآن ميراث الأمة الإسلامية كلها .

خامساً - إشكالية حائط البراق :

الاعتقاد السائد هو أن حائط البراق ، هو جزء من الحائط الخارجى للهيكل ، الذى رسمه هيرودوس (١١ ق.م) ودمره تيتس – ملك الروم (٧٠ م) .

---

[64] سامي محمد عبد الحميد ، ص ٨٣ ـ ٨٤ ، و: الموسوعة العربية العالمية / م.س ص٨٨ ، هناك جدل غير قليل أثير بشأن الدوافع الدينية والسياسية والتاريخية لبناء قبة الصخرة ، يمكن الوقوف على تفاصيله ، بمراجعة :
- سامي محمد عبد الحميد ، م.س ، ص ص ٧٦-٧٨
- موسى غوشة ، الدوافع التاريخية لبناء قبة الصخرة ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، يوليو ١٩٩٧م ، ص ص ٢٦١ ـ ٢٦٥
- خالد صلاح (تقرير) ، ١٩٩٩/٤/١٧ ، ص ص ١٨-٢١

[65] المقدمة ، م.س ، ص ٢٥٠

وهو عبارة عن حائط كبير ، مبنى من حجارة ضخمة ، يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً ، ويبلغ طول الحائط نفسه ١٥٦ قدما ، ويعتقد المؤرخون المسلمون أنه المكان الذى ربط عنده جبريل – ملك الوحى – براق النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ليلة الإسراء والمعراج ، ومن هنا جاء اسمه الإسلامى (حائط البراق) ، ولايزال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسى ، وتحديداً هو جزء من جداره الغربى (٦٦) .

لم يرد فى باب (حديث الإسراء والمعراج) فى (صحيح البخارى) ذكر لربط البراق (٦٧) .

وكذا فى (سيرة ابن هشام) (٦٨) أما فى (دلائل النبوة) فقد ذكر الإمام البيهقى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : [ثم

---

[66] موسوعة القدس ، اسطوانة ليزر بطريقة النشر الالكترونى ، القاهرة ، شركة سفير ، ٢٠٠١ ، ملف (أماكن : ٧ - حائط البراق) . وفى ملف (أماكن : د – الجوامع التى خارج الحرم وداخل السور ، و: ٨ – أسوار القدس القديمة) ذكرت الموسوعة أن أحد الجوامع السبعة عشر ، الواقعة خارج الحرم وداخل سور القدس القديمة ، يسمى (جامع البراق) وهو ملاصق لحائط البراق فى حارة المغاربة .

وذكرت الموسوعة ذاتها فى ملف (أماكن : ١ – الحرم الشريف) أن للحرم الشريف بالقدس أربعة عشر بابا ، منها أربعة مغلقة ، يسمى أحدها (باب البراق) .

كذلك هناك (نفق البراق) يسميه الإسرائيليون (نفق حشمونائيم) تسببت عملية حفره فى إحداث هبة شعبية من الفلسطينيين فى سبتمبر ١٩٩٦م ، وكذلك هناك (مساحة البراق) يسميها الإسرائيليون (ساحة المبكى) كان مشروع تعميقها هو المرحلة السابعة ، ضمن تسع مراحل ، مرت بها الحفريات الإسرائيلية فى القدس ، وتمت موافقة الحكومة الإسرائيلية على هذا المشروع عام ١٩٧٧ (عدوان ، الهيكل ، م.س) .

[67] صحيح البخارى ، ط٣ ، ج٦ ، القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٤ ، ص ص ١٩٤ _ ١٩٨ .

انطلق بى جبريل حتى دخلنا المدينة – بيت المقدس – من بابها اليمانى ، فأتى قبلة المسجد – الأقصى – فربط بها دابته ، ودخلنا المسجد من باب ، فيه تميل الشمس والقمر] . ومن رواية أخرى نقل البيهقى قوله – صلى الله عليه وسلم – من حديث أنس بن مالك : " فأوثقت الدابة بالخرابة " فقال أبو بكر ، صفها لى يا رسول الله فقال – صلى الله عليه وسلم – : " هى كذه وذه " . قال أنس : كان أبو بكر قد رآها (٦٩) .والخرابة (٧٠) هى : الثقبة الواسعة المستديرة ، وهى : حبل من ليف .

فى رده على تساؤل : أربط الدابة بالحلقة ، التى كانت تربط بها الأنبياء ؟ أكان يخاف أن تذهب منه ، وقد أتاه الله بها ؟ قال البيهقى : ربط الدابة عادة معهودة ، والخبر المثبت أولى من النافى (٧١) .

---

68 طه عبد الرؤوف سعد (تحقيق) ، سيرة ابن هشام ، ج٢ ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت ، ص ص ٣١ _ ٣٩ .

69 د. عبد المعطى قلعجى (توثيق وتخريج أحاديث وتعليق) ، دلائل النبوة للبيهقى ، ط١ ، ج٢ ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٩٨٨ ،ص٣٥٦

70 المعجم الوسيط ، م.س ، مادة : (خرب)

71 د. عبد المعطى قلعجى ، م.س ، ص٣٦٥ .

وفى صحيح مسلم عن أنس ، قال - صلى الله عليـه وسـلم - : [أتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس ، فربطتـه بالحلقـة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بى إلى السماء (٧٢) .

برغم إشارة بعض المصادر الأمهات (*) إلى أن سائر أجزاء الهيكـل الثانى - هيكل هيرودوس - لم يبق منها شىء على الإطـلاق ، وأن تيتس - ملك الروم - أمر - بعد تخريبه ذلك الهيكـل - أن يحـرث مكانه ويزرع ؛ إمعاناً فى التأكيد على إزالته التامة .. فمن الممكـن القبول بأن يكون جزء من الجدار الغربى للحرم القدسى ، هو بالفعل جزء من بقايا سور ذلك الهيكل (الثانى) بل إنه - كما سبقت الإشارة - هو الرأى السائد ؛ فليس هذا أمرا معجزا ، أو مخالفاً للمنطق ، أو مستبعدا تاريخيا أو دينيا . وفى حال ثبوته - عند الأخـذ بـالطرف الآخر للروايات التاريخية - فهو لا يمثل أي مشكلة .

---

[72] موسوعة القدس ، م.س ، ملف (المسجد الأقصى - الأحاديث التى ورد فيها ذكر المسجد الأقصى والأرض المباركة)

* منها : - ابن خلدون ، م.س ، ص ٢٤٩ .
- ول ديورانت ، م.س ، مجلد ١ ، ج٢ ، ص٣٣٥
- د. عادل حسن غنيم ، حائط البراق أم حائط المبكى ، القاهرة ، دار قباء ، ٢٠٠١ م
انظر د. رأفت عبد الحميد ، تقديم الكتاب ، ص ص ٧-١٠

بل إن هذا الطرف الآخر – وهو الأقوى – من الروايات التاريخية (*) ، هو الدليل الأول على وجود الحائط – محل النزاع – ثم إنه لا يترتب أي مشكلة بحثية أو عقدية أو سياسية ؛ إذ لن يزيد الأمر على كون الحائط أثراً ، يراه اليهود مقدساً لديهم ، ولهم على المسلمين – كما قرر الإسلام من قبل ، والواثيق الدولية المعاصرة لاحقاً – أن يؤمنوا على زيارتهم إياه والصلاة عنده ، وليس أكثر ؛ إذ لا يصح أن يترتب على هذا الحق الدينى حق سياسى ؛ فالحق السياسى " السيادة " هو لشعب الإقليم ، أى الفلسطينيين .

يذكر أنه لما هدم الهيكل الثانى ، أيام الملك يهوذا سنة ٧٠م ، ولم يبق منه سوى حائط ، كان الرومان يحضرون اليهود – الذين تم أسرهم فى روما – مكبلين فى الأصفاد ، إلى الحائط ليبكوا على هيكلهم ، ومن وقتها أطلق عليه (حائط المبكى) (٧٣) .

وبعد أن أخفق اليهود ، فى استعادة حريتهم فى عهد انطونيس بيوس (١٣٥ – ١٦١ م) حرم عليهم أن يدخلوا المدينة المقدسة ،

---

* منها – تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠ م
انظر : د. عادل حسن غنيم ، م.س ، ص ٤٢ – ٦٠
- د. أحمد محمد عوف ، م.س ، ص ١٠٨

[73] د. أحمد محمد عوف ، م.س ، ص١٠٨

إلا فى ذكرى تدميرها ، وفى مقابل (جعل) معين كانوا يؤدونـــه ، فكانوا يأتون فى يوم تلك الذكرى المؤلمة ، ليبكوا أمـــام جـــدران الهيكل المهدم (٧٤) . وبعد الفتح العثمانى لمدينة القـــدس ، نظـــم العثمانيون – أيضاً – أمر تلك الزيارة (٧٥) .

الهيكل المزعوم :

يقصد بالهيكل – على الإطلاق – هيكل سليمان .

ويقصد بـــ (المزعوم) : أى الذى يزعم اليهود وجود بعـــض بقايـــاه تحت المسجد الأقصى ،أو ضمن الحرم القدسى الشريف ، حتى الآن .

إذا كان من الممكن – فى ضوء بعض الأدلة غيـــر المســـتبعدة ، والتى سبقت الإشارة إليها – القبول بأن جزءاً من الجدار الغربـــى للحرم القدسى الشريف ، هو جزء من بقايا سور الهيكل الذى بناه – رممه – هيرودوس عام ١١ ق.م ، وإذا كان أمراً غير ذى بال أن يسمى اليهود هذا الجزء من الجدار بـــ (الحـــائط الغربـــى – western wall) (٧٦) أو أن يسميه اليهـــود وغيـــرهم (حـــائط

---

[74] ول ديورانت ، م. س ، ج١٤ ، ص د

[75] د. عادل حسن غنيم ، م.س ، ص ص ٢٧ ـ ٣٣ .

[76] http//www.mfa.gov.il/mfa/go.asp? mfaho 1820 (11/11/01)

المبكى – wailing wall) (٧٧) .. إذا كان الأمر ممكناً القبول به إلى هذا الحد – فحسب – فإن من المستحيل القبول بأن ذلك الجزء من الحائط ، هو من بقايا هيكل سليمان ، أو الإدعاء بأن الأحجار السفلى من هذا الحائط ، تنتمى إلى ذلك الهيكل (٧٨) ، أو أن بقايا هيكل سليمان ، تقع تحت المسجد الأقصى ، وذلك لأسباب عدة :

أ – إشارة أمهات المصادر التاريخية (*) إلى أن سائر أجزاء الهيكل الثانى – بناء هيرودوس ١١ ق.م ، لم يبق منها شىء على الإطلاق ، وإلى أن تيتس – ملك الروم – أمر بعد تخريب الهيكل الثانى (٧٠م) بأن يحرث مكانه ويزرع ، إمعاناً فى التأكيد على إزالته التامة ، فماذا يكون الحال بالهيكل الأول – هيكل سليمان – إذا كانت هذه حال الهيكل الثانى ؟! . المشهور تاريخياً أن بختنصر – ملك بابل – كان قد هدمَ هيكل سليمان ، فى التاسع من أغسطس عام ٥٨٦ ق.م (٧٩) .

---

[77] د. أحمد محمد عوف ، م.س ، ص ١٠٨
و: د. المسيرى ، موسوعة اليهود .. م.س ، مجلد ٤ ، ص١٦٩ – ١٧٠ ، والأغلفة الداخلية للمجلدين ١ ، ٧ .

[78] ورد هذا الادعاء فى :
- إيمانويل هيمان ، الأصولية اليهودية ، ترجمة سعد الضويل ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص٢٣٦

* سبقت الإشارة إليها

[79] د. المسيرى ، موسوعة المفاهيم .. مرجع سابق ، ص٤٢٥

ب – إن بقية المصادر التاريخية (**) التى ذكرت أن ذلك الحائط (البراق / المبكى) هو جزء من جدار الهيكل الثانى – هيكل هيرودوس – لم تشر قط إلى بقاء أى جزء من الهيكل الأول- هيكل سليمان .

ج – فى بحثه عن (الأصول الكنعانية للهيكل) قال جان باتيست أومبير – عالم الآثار بالمدرسة التوراتية والأثرية الفرنسية بالقدس – : " إن هيكل سليمان يعتبر لغزاً ، فلم يبق منه حجر واحد يرى ، و(ربما) تكون هناك بقايا منه تحت ساحة قبة الصخرة ، ولكن علماء الآثار قد انتهوا فى بحوثهم إلى مجرد (تخمينات) فى محاولاتهم لتحديد مكان الهيكل " ، وأضاف : " إن وصف حزقيال للهيكل يعتبر وصفا رمزياً ، ويتعلق بفترة متأخرة أيضاً (٨٠) .

د– أشارت مصادر تاريخية أخرى ، إلى أنه قد أقيم مبنيان آخران (معبد وثنى ثم كنيسة مسيحية) فى المكان ذاته ، بما يفيد إزالة

** سبقت الإشارة إليها

80 سامى محمد عبد الحميد ، م.س ، ص ص ٩٥ – ٩٧ .

الهيكل الثانى – هيكل هيرودوس ، والذى كان قد تم تدميره عام ٧٠م – كما يلى :

١ – فى عام ١٣٥م أعاد القيصر الرومانى هدريانوس بناء أورسالم كمدينة رومانية ، وغير اسمها إلى (إيليا كابيتولينا) ، وكان قد هدم كل ما فى المدينة ، ثم أقام مكان الهيكل معبداً للإله الوثنى جوبتر – كبير آلهة الرومان – ونصب تمثالاً كبيراً لذلك الإله ، ومنع اليهود من دخول المدينة الجديدة ، وإن عاد وسمح لهم بزيارتها ، يوما فى السنة ، للوقوف على "الجدار الغربى" الذى يعد من أطلال الهيكل،أو السور الذى حصنه به هيرودوس ([٨١]) .

٢– منذ عهد الامبراطور الرومانى قسطنطين – الذى اعتنق المسيحية – حرم على اليهود ، دخول أورسالم ، وأصبح مكان الهيكل أطلالاً ، بعد أن درست معالمه ، وكان الرومان يلقون روث البهائم على أطلاله ، تنكيلاً باليهود ([٨٢]) ، وكذلك بعد أن تنصرت هيلانه ، أم الامبراطور قسطنطين ، ارتحلت إلى بيت المقدس ،

---

[81] د. أحمد محمد عوف ، م.س ، ص ١٠٨
و: د. محمد جلاء إدريس ، م.س ، ص ص ١٢٢ ، ١٩٢
و: يواكيم مبارك ، م.س ، ص١٥
[82] د. أحمد محمد عوف ، م.س ، ص١٠٨

وخربت ما وجدت من عمارته (أطلاله) ، وأمرت بإلقاء القمامة على الصخرة ، جزاء ما فعل اليهود بقبر المسيح ([٨٣]) .

٣ – ترك البيزنطيون العشب ينبت على أنقاض المدينة الرومانية الوثنية ، وعلى غيرها من المواقع ، بل جعلوها مستودعاً للقمامة ، مكتفين بكنيسة ([*]) على اسم (والدة الله) ، إحياء لذكرى تقدمها للهيكل ، فى المكان الذى يرتفع فوقه المسجد الأقصى . واستمر ذلك الوضع حتى كان الفتح الإسلامى ، فزار عمر بن الخطاب القدس ، وأتى مكان الهيكل ، وأزاح عنه القاذورات ، واتجه بعد ذلك إلى محراب داود فصلى فيه ، ثم بعدها أقيم عليه المسجد الأقصى ([٨٤]) .

هـ – لم يعثر اليهود على أي أدلة أثرية – تساند دعاواهم – من خلال الحفريات التى قاموا بها ، منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن ، تحت

---

[83] ابن خلدون ، م.س ، ص ٢٤٩

[*] بناها قسطنطين ٥٤٣م وحرقها الفرس ٥٦٠م وتشكك مصادر أخرى فى شأن بناء هذه الكنيسة ، غير أن جميعها متفق على أن ذلك الموقع كان مهملا ، بما فيه من أطلال قديمة .
(د. شفيق جاسر أحمد محمود ، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامى ، ط١ ، عمان ، دار البشير للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ص ٩٨ ـ ١٠٣)

[84] مبارك ، المرجع السابق ، ص٢٣
و: عوف ، المرجع السابق ، ص١٠٨
و: الطوبجى ، لن تلقى مثل عمر ، م.س ، ص ص ٢٣٩ ـ ٢٤١

الحرم القدسى الشريف ، فى جبل موريا ، أو فى الجزء الجنـــوبى الغربى منه ، تحت المسجد الأقصى تحديداً (٨٥) .

و – أصدر القضاء البريطانى عام ١٩٣٠ – أثناء الانتداب علـــى فلسطين – حكمه بعدم صحة إدعاء اليهود ، بأن الحائط الغربـــى للمسجد الأقصى ، هو أحد أسوار هيكل سليمان (٨٦) .

ز – أصدر البلاط الملكى البريطانى مرسوماً فى ١٩٣١/٥/١٩ – بعـــد انتهاء لجنة التحقيق الدولية من نشاطها فى فلسطين – يؤكد علـــى أن للمسلمين وحدهم ، تعود ملكية الحائط الغربى ، ويخول للمندوب السامى البريطانى فى فلســـطين،بإلزام جميـــع ســـكانها بتنفيـــذ أحكـــام هـــذا المرسوم(٨٧) .

---

[85] للمزيد عن هذه النقطة ، راجع :
- شوقي شعث ، أضواء على الأبحاث الأثرية فى فلسطين ، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية ، جامعة حلب ، ١٩-٢٤ /١٩٨١/٩
- فيصل الخيرى (قراءة) زنيف هرتسوج ، الحفريات أنهت أسطورة التوراة ، العصور الجديدة (القاهرة) إبريل ٢٠٠٠م ، ص ص ٢٣٢ _ ٢٤٩
- د. رشاد الشامى ، الأثريون الإسرائيليون يكشفون زيف الادعاءات الدينية والتاريخية لليهود فى فلسطين ، الهلال (القاهرة) ، نوفمبر ٢٠٠٠ ، ص ص ٨-١٣
- يديعوت أحرونوت (تل أبيب) ٢٠٠٠/٤/٢٩
- د. عادل حسن غنيم ، وثيقة (يقصد المرسوم الملكى البريطانى ويشرح السياق الذى صدر فيه) خطيرة أهملها السياسيون ، سطور (القاهرة) يناير ٢٠٠٠.
- يواكيم مبارك ، م.س ، ص٧
- محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، دمشق، دار يعرب ، د.ت ، ص٧٨ ، د. المسيرى

[86] موسوعة المفاهيم ، م.س ، ص٤٢٥
و: عادل حسن غنيم ، حائط البراق ،م.س ، الوثائق الملحقة .

[87] د. عادل حسن غنيم ، حائط البراق ، م.س ، الوثائق الملحقة

يذكر أنه إثر اندلاع الصراع بين المسلمين واليهود فى فلسطين بشأن الحائط الغربى (حائط البراق) قامت الدولة المنتدبة (بريطانيا) بموافقة عصبة الأمم ، بتشكيل لجنة دولية لتبت فى حقوق ومطالبات اليهود والمسلمين بشأن الحائط المذكور ، وبعد فشلها فى التوصل إلى تسوية تفاوضية بين الطرفين أصدرت حكمها : " تعود الملكية الحصرية للحائط الغربى والحق الملكى الحصرى فيه للمسلمين ، نظراً لكونه يشكل جزءاً لا يتجزأ من منطقة الحرم الشريف ، التى هى من ممتلكات الأوقاف " . وللمسلمين هناك تعود أيضاً ملكية الرصيف الواقع قبالة الحائط ، وما يدعى بحى المغاربة المجاور قبالة الحائط ، لكون الملك المذكور آخرا قد جعل وقفا بموجب قانون الشريعة الإسلامية ، ووقف لأغراض خيرية " .

- ابراهيم عبد الكريم ، حائط البراق – الملكية الإسلامية والانتحال اليهودى ، ط١ ، م.ن ، القيادة الشعبية الإسلامية العالمية ، ١٣٦٩م من وفاة الرسول – ٢٠٠١ ف
- محمد عزة دروزة ، م.س ، ص ص ٦١ – ٦٣
- عبد القادر ياسين ، الحركة الوطنية الفلسطينية – المحطات الرئيسية ، ط١ ، القاهرة ، دار الكلمة ، ٢٠٠٠م ، ص١٢
- حائط البراق " المبكى " ملكية إسلامية مطلقة – شهادة وزارة المستعمرات البريطانية (وثيقة فى : ١٩٢٨/١١/١٩م) ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، ابريل ١٩٩٧ ، ص ص ٢٦١ - ٢٦٦

أما التوابع المتعلقة بالعبادة أو الأشياء الأخرى ، مما قد يحق لليهود أن يضعوها قرب الحائط، إما طبقاً لأحكام هذا الحكم ، أو باتفاق بين الطرفين ، فلا تعتبر تحت أى ظرف من الظروف منشئة ، أو لها مفعول إنشاء أى نوع من حق الملكية لهم فى الحائط أو الرصيف المجاور " .

وقد أخذت قرارات اللجنة الدولية هذه صفة القانون فى ١٩٣١/٦/٨ [٨٨] .

سادساً - مبدأ الدفاع عن الأوطان فى العقيدة الإسلامية :

تعد حماية الأوطان ، والدفاع عنها والسعى لتحريرها ، مكوناً أساسياً فى العقيدة الإسلامية ، كما فصلت ذلك كتب الفقه والفكر السياسى الإسلامى .

وتقع هذه المسئولية إزاء هذا الوطن – أو ذاك – من أوطان العالم الإسلامى – بداية – على الشعب المقيم فى هذا الوطن أو الإقليم ، قدر استطاعته على أداء هذه المسئولية .

---

[88] اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطينى لحقوقه غير القابلة للتصرف (إعداد وإشراف) وضع القدس ، نيويورك ، الأمم المتحدة ، ١٩٩٧ ، ص ص ٣-٤

فإذا ما عجز ، أو بدت حاجته إلى عون أشقائه ، من شعوب العالم الإسلامى ، كانت مساعدته واجباً عليهم ، موالاة ومناصرة وتضامناً . ويكون أداء تلك المسئولية واجباً كفرض عين ، على شعب الإقليم ، وفرض كفاية على الشعوب الإسلامية الشقيقة المجاورة ، تباعاً .. وباتساع دائرة خطر العدوان على هذا الشعب ثم الشعوب المتاخمة / المجاورة ، تباعاً ، تتسع دائرة وجوب أداء هذه المسئولية كفرض عين ، حتى تشمل – يوما – كل شعوب الأمة / العالم الإسلامى ، إذا بلغت درجة خطورة العدوان ، حدا يهدد أطراف / جملة العالم الإسلامى ([٨٩]) .

---

[89] للمزيد ، راجع :
- أبو الأعلى المودودى ، نظرية الإسلام السياسية ، القاهرة ، دار الاعتصام ، دت
- د. أحمد شلبى ، السياسة فى الفكر الإسلامى ،ط٥ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٣م .
- د. أحمد شلبى ، العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى ، ط٥ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٧
- د. حورية مجاهد ، الفكر السياسى من أفلاطون إلى محمد عبده ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦
- د. نادية محمود مصطفى (إشراف) ، العلاقات الدولية فى الإسلام وقت الحرب ، ط١ ، القاهرة ، المعهد العالى للفكر الإسلامى، ١٩٩٦
- د. نصر فريد واصل ، الحقوق والعلاقات الدولية فى الفقه الإسلامى ، ط١ ، د.ن ، ١٩٨٩
- د. مصطفى كمال وصفى ، النبى والسياسة الدولية ، ط١ ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧٥
- عبد الوهاب خلاف ، السياسة الشرعية ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٧٧
- الماوردى ، على بن محمد بن حبيب البصرى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٨٣
- محمد أبو زهرة ، العلاقات الدولية فى الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٥
- محمد شهاب الدين الندوى ، أهمية الجهاد لنهضة العالم الإسلامى ، ط١ ، الهند – بنجاور ، الأكاديمية الفرقانية ، ١٩٩٩
- جمال البنا ، الفريضة الغائبة ، ط١ ، القاهرة ، دار ثابت للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤

المبحث الثالث

المدخل السياسى لإسلامية قضية القدس

تعنى هذه الدراسة بـ " المدخل السياسى لإسلامية قضية القدس ": مراعاة العلاقة المباشرة ، بين هذه القضية وجملة مصالح العمل الإسلامى ؛ باعتبار العالم الإسلامى نظاماً إقليمياً ، مركزه أرض فلسطين / القدس ، الأمر الذى يجعل من هذه القضية قضية محورية ، تمس هذا النظام كله ، خاصة وأن الصراع على أرض فلسطين / القدس ، غير تقليدى ، لا يستهدف - كغيره - الاستقلال (تحرير الأرض ، وتقرير مصير الشعب) فحسب ، بل إنه صراع استراتيجى حضارى ، يخوضه هذا النظام الاسلامى كله ، ضد عدويه التقليديين المتحالفين : الحركة الصهيونية العالمية ، والحركة الاستعمارية الغربية . وهذا ما يملى على النظام الإقليمى الإسلامى ، ضرورة السعى الحثيث ؛ لمعالجة هذه القضية ، ودرء المخاطر ، التى يمثلها الطرف الآخر : الصهيونى / الاستعمارى ، الذى ينازع العالم / النظام الإسلامى ، السيادة على هذه المدينة .

- د. سعيد عبد الله حارب المهيرى ، العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٥

هناك إجماع بين الباحثين ، على أن قضية القدس ، هى الموضوع الذى اتفقت عليه – دائماً – كلمة الدول الأعضاء فــى منظمــة المؤتمر الإسلامى (٩٠) .

وإذ يعد من الصعب ، الوقوف على أبعاد علاقة قضــية القــدس ، بجملة مصالح العالم الإسلامى ، فإن الوقوف على أبعاد التهديد ، والمخاطر التى يمثلها الطرف الصهيونى / الاستعمارى ، للنظــام الإقليمى الإسلامى ، سياسياً – انطلاقــاً مــن أطماعــه المتعلقــة بالقدس – يعد مكافئاً أو بديلاً موضوعياً ، يبرز أهمية / محوريــة قضية القدس ، لهذا النظام الإقليمــى ، الــذى يــؤمن بالقاعــدة الشرعية الإسلامية : " درء المفاسد (المخاطر) مقدم علــى جلــب المنافع (المصالح) .

فى النقاط التالية ، إلمامة موجزة بالمخاطر السياسية ، التى يمثلها الطرف الصهيونى/ الاستعمارى ، فى مواجهة النظــام الإقليمــى الإسلامى ، انطلاقاً من أطماع الطــرف الأول المتعلقــة بمدينــة القدس:

---

[90] د. الرشيدى ، م.س ، ص١٢٨

أولاً – مع توافـق أهـداف الحـركتين : الصـهيونية العالميـة والاستعمارية الغربية ، وتوافق خططهما ، وتحركاتهما العدوانية ، تجاه القدس خاصة ، والنظام الإقليمى الإسلامى عامـة ، يمكـن الحديث عن الخطر الصهيونى ، باعتباره خطراً مضاعفاً ، مزدوجاً ، علماً بأن الازدواجية ، تأتى هنا فى جانبهـا الإيجـابى لصـالح الخطر الصهيونى ، فهى ليست ازدواجية تنازع أو تنافر ، بل هى ازدواجية تواطؤ وتكامل وتحالف ، بين الحـركتين المـذكورتين . هذا من ناحية القائمين على توجيه هذا التهديد ، أو من هم وراء ذلك الخطر فى مواجهة النظام الإقليمى الإسلامى ([٩١]) .

ثانياً : ينطلق هذا التهديد ، من رغبة القائمين عليه ، بل من نيتهم المبيتة ، على تمزيق العالم الإسـلامى ، واسـتنزاف ثرواتـه ، وإضعافه والسيطرة على شعوبه . فهو – إذن – خطـر مركـب ، تتضافر فيه الأسـباب الاسـتعمارية التقليديـة ، مـع الأسـباب (الدعاوى) الدينية .

---

[91] عبد التواب مصطفى ، نكبة فلسطين ومسئولية المجتمع الدولى ، ط١ ، غزة ، المركز القومى للدراسات والتوثيق ، ٢٠٠٠ ، ص١٢-٢٩

شكلت الحروب الصليبية – كحركة استعمارية استيطانية – السابقة الأوروبية الأولى ، لاستعمار العالم العربى ، وضرب الإسلام . وقد استمرت أحداثها على أرض فلسطين ، قرابة قرنين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) (*) . ولأنها كانت ولاتزال من المنعطفات التاريخية المهمة ، فى تاريخ الغرب الأوروبى ، والعالمين العربى والإسلامى ، فإنها لاتزال تحكم توجهات المفكرين ، ورجال السياسة فى الغرب ، فى تعاملهم مع العرب والمسلمين ، حتى اليوم (٩٢).

ثم بعد تسوية الأوروبيين للصراعات ، التى تأججت بين القوميات الأوروبية الناشئة ، وحول مستعمراتهم فى الهند والعالم الجديد ، وبعد أن عقدوا صلح وستفاليا ١٦٦٨ م ، الذى أنهى الحروب الدينية ، بين الكاثوليك والبروتستانت ، تفرغوا لاستئناف توجههم الاستعمارى ، نحو العالم الإسلامى ، مرة أخرى (٩٣) .

---

* استولى الصليبيون على بيت المقدس ١٠٩٥ ، وانتصر صلاح الدين فى حطين واسترد بيت المقدس فى ١١٨٧ ، وسقط أخرمعاقل الصليبيين فى الشرق – عكا – فى ١٢٩١م (أحمد حسين ، تاريخ الإنسانية ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥ ، ص١٧٤-١٧٥)

[92] للمزيد : انظر : د. قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ١٤٩ ، ١٩٩٠.

[93] د. نادية محمود مصطفى (إشراف) ، العصر العثمانى من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية ، ط١ ، القاهرة ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩٦ ، ص١٣

كذلك ، كانت " المسألة الشرقية " التى انبعثت فى القـــرن التاســـع عشر ، إحدى بقايا الحروب الصليبية ، لأنها كانت بمثابة تفـــاهم بين الدول الاستعمارية الغربية ، على تركة الرجل المـــريض ، أى الامبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة (٩٤) .

أسهمت تلك الضربات العنيفة المتلاحقة ، من جانـــب الاســـتعمار الغربى ، فى إضعاف بنية النظام الإقليمـــى الإســـلامى ، ومهـــدت الطريق لانقضاض اليهود ، ثم الحركة الصهيونية ، على أنقـــاض هذا النظام ، لتحقيق أطماعهم الاستيطانية ودعاواهم الدينية ، فيما يسمونه (أرض الميعاد) ، كما تحركت – مـــن قبـــل – الأطمـــاع الاستعمارية الأوروبية ، بدعوى تحرير مهد المسيح (٩٥) .

ثالثاً – كان ذلك المنطق الصـــهيونى / الاســـتعمارى ولايـــزال ، محوطاً ومزوداً بدرجة عالية ، من الوعى بـــأهم مقومـــات بنيـــة النظام الإقليمى الإسلامى ، التى يجب البدء بضربها ، ليتبع ذلـــك انهيار هذا النظام ، وفى مقدمة هذه المقومات : الدين الإسلامى ، الذى يُعد العماد الأساسى لبنية هذا النظام ، والعالم العربى ، كنظام

---

94 للمزيد ، انظر : المرجع السابق ، مواضع متعددة

95 للمزيد ، راجع : عبد التواب مصطفى ، المرجع السابق ، مواضع متعددة .

إقليمى فرعى ، أخذ على عاتقه – غالباً – حماية النظام الإقليمى الإسلامى .

أدرك هذه الحقيقة ، أو كان على تلك الدرجة من الوعى بها ، رواد ومفكرو الحركتين الصهيونية العالمية والاستعمارية الغربية ، ولم يدخروا جهداً ، فى الإفصاح عما يضمرونه للعالم الإسلامى ، وقلبه أو مركزه – فلسطين أو الأرض المقدسة ، وهذا ما تنطق به أو تؤكده تقاريرهم ، وخططهم وتحركاتهم العدوانية ، تجاه الإسلام وأهله ، يوماً بعد يوم .

بينما كان الاستعمار الغربى يطارد المسلمين ، فى جنوب شرق آسيا ، خطب القائد البرتغالى (البوكرك) جنوده ، إبان معركة (مالقا) عام ١٥٠٩ ، قائلاً : " إذا استطعنا تخليص (مالقا) من أيدى المسلمين ، ستنهار القاهرة ، وبعدها تنهار مكة نهائياً . ويوم سقطت (مالقا) أقيم فى روما قداس شكر ، قال فيه أحد خطبائهم : " إن هذه المعركة ستسهل استعادة القدس " (٩٦) .

---

[96] د. عدنان على رضا النحوى ، فلسطين بين المنهج الربانى والواقع ،ط٤ ، الرياض ، دار النحوى للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ ، ص٥٣-٥٥

وهكذا ، فأينما كانت المعركة ، ومع أى من شعوب العالم الإسلامى تكون ، فإن عيون الاستعمار تكون شاخصة تجاه القدس .

وعندما سقطت القدس فى يد المارشال اللنبى فـــى ١٩١٧/١٢/٩ فى الحرب العالمية الأولى ، خطب قائلاً : " الآن انتهت الحـــروب الصليبية " .

فيما بعد ، قال راندولف تشرشل : " لقد كان إخراج القـــدس مـــن السيطرة الإسلامية ، حلم اليهود والمسيحيين على الســـواء .. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، وإن علينـــا – كمـــا يقول بن جوريون – واجباً مقدساً فى الحيلولة بين الإسلام والحياة ، إنه واجب مقدس فى الغرب المسيحى ، كما هو واجب مقـــدس فى إسرائيل ، وعلينا أن نبذل – معاً – أقصى الجهـــد فـــى منـــع ظهور أى " محمد " جديد .

وهذا يوجين روستو – مستشـــار الـــرئيس الأمريكـــى الأســـبق جونسون – يقول : " إن الشواهد التاريخية ، تؤكد أن أمريكا جزء مكمل للعالم الغربى ، وذلك يجعلها تقف معادية للعـــالم الشـــرقى الإسلامى ، بفلسفته وعقيدته ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا

الموقف ، فى الصف المعادى للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ، لأنها إن فعلت غير هذا ، فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها (*)

رابعاً – هذه الرؤية الاستراتيجية ذاتها ، كان قد أقرها أو توصل إليها التقرير الاستعمارى الشهير ، المعروف بتقرير بانرمان ، الصادر عام ١٩٠٧ ، عن ممثلى الدول الاستعمارية : انجلترا – فرنسا – بلجيكا – هولندا – أسبانيا – البرتغال وإيطاليا ، بشأن الوسائل التى يمكن بها الحيلولة دون انهيار الاستعمار الأوروبى ، حيث رأى ضرورة إقامة حاجز بشرى بين شطري العالم العربى – الذى يجمعه وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال – لإعاقة وحدة الأمة العربية التى – عند اتحادها – ستمثل أكبر تهديد ، بل ستكون على يديها الضربة القاضية ، للإمبراطوريات الاستعمارية الغربية ، لذلك نصح التقرير بأن يمثل هذا الحاجز أو (الإسفين) الغريب ، مصدر قلق دائم فى المنطقة ، وسبباً للتدخل الدائم فى

---

* لمطالعة المزيد من مثل هذه الأقوال ، راجع :

- قادة الغرب يقولون ، سلسلة نحو وعى إسلامى ، ط٣ ، القاهرة ، منشورات المختار الإسلامى ، ١٩٧٧ ، ص ٤٤-٥٤

- د. عبد الودود شلبى ، الإسلام وخرافة السيف ، القاهرة ، دار الخليج العربى ، ١٩٨٧ ، ص٢٤٣ – ٢٥٢ .

شئونها ، أي لابد أن يكون عدواً لأبناء المنطقة ، وصديقاً للاستعمار (٩٧) .

أقر رئيس الوزراء البريطانى آنذاك – كامبل بانرمان – ذلك التقرير ، وكذلك وزارة الخارجية البريطانية ، التى أحالته إلى وزارة المستعمرات ، ثم أصبح ورقة عمل للأوروبيين ، بصفة عامة ، وللدبلوماسيين منهم خاصة ، يعملون فى ضوئها ، فى منطقة الشرق العربى (٩٨).

فى إطار المساومات الاستعمارية ، التى تمت إبان الحرب العالمية الأولى ، تم الاتفاق بين انجلترا وفرنسا وروسيا ، على أن تكون السواحل الممتدة ، بين الحدود المصرية إلى حيفا فعكا ، منطقة نفوذ انجليزية ، أما بقية فلسطين ، فقد اتفق على جعلها دولية ، وبعد أن احتلت القوات الإنجليزية القدس فى ١٩١٧/١٢/٩ ، أخذ

---

[97] د. إبراهيم شلبى ، دراسات فى المشاكل الدولية العربية ، القاهرة ، معهد الدراسات الإسلامية ، د.ت ، ص٢٢ ـ ٢٣ .

و: محمد محمد الفحام ، م.س ، ص ٤٤-٤٥ .

و: د. أحمد شوقى الحنفى ، محاضرة فى مواجهة الاستراتيجية الغربية ، ندوة المسجد الأقصى المبارك ، جامعة الأزهر ٢٠٠١/٥/١٥

[98] د. مصطفى محمد رمضان ، العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ج١ ، د.ن ، ١٩٨٥ ، ص١١٥-١٦٨ ، وأشار إلى أن التفاصيل فى : انطون سليم كنعان ، فلسطين والقانون .. تقرير كامبل بانرمان – كتاب المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب ، دمشق ١٩٥٧ ، ص ٤٥٧ ـ ٤٨٩

الإنجليز – مستعينين باليهود – يضغطون على فرنسا ، بعد الهدنة ، حتى اضطروها إلى التسليم للإنجليز ، بالسيطرة على فلسطين – بدلاً من الإدارة الدولية – وإدخالها تحت انتدابهم ، وسيطرتهم النهائية (٩٩) .

وبالرغم من تعدد الوعود ، التى منحتها القوى الاستعمارية لليهود ، ثم للحركة الصهيونية الحديثة ، سواء ما كان من هذه الوعود من جانب الفرس قديماً ، ثم الفرنسيين ، فالإنجليز ، فالأمريكيين حديثاً ، يظل " وعد بلفور " الذى منحته الحكومة الإنجليزية ، للحركة الصهيونية فى ١٩١٧/١١/٢ ، أكبر تلك الوعود أثراً فى إيقاع النكبة بالعرب والمسلمين ، فى فلسطين عام ١٩٤٨ ؛ لما وفره من حماية لليهود فى فلسطين ، ولإسهامه في تأمين هجرتهم إليها ، وتكريسه لالتزام بريطانيا أمام الحركة الصهيونية ، حتى تم إدراج ذلك الوعد فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين ، الصادر عن عصبة الأمم عام ١٩٢٢ .

[99] محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ، دمشق ، دار يعرب ، د.ت ، ص١٦-١٧

هناك كتابات عديدة ، فى مناقشة تفسيرات ذلك الوعد ، وتبعاته ، وكذا تبعات الانتداب البريطانى على فلسطين (*) .

خامساً – ما تم من جانب عميدة الحركة الاستعمارية الغربيـــة – بريطانيا – لصالح الحركة الصهيونية العالمية ، فى النصف الأول من القرن العشرين ، ثم ما تم من جانب وريثة بريطانيا فى عمادة الحركة الاستعمارية الغربية ، أى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى النصف الثانى من القرن نفسه ، بل منذ أصدرت الولايات المتحدة " وعد بلتيمور " (مايو ١٩٤٢) ، إذ تعهدت بإقامة دولة لليهود فى فلسطين ، وبذلت وسعها فى تنفيذ ذلك ، من خلال استصدار قرار تقسيم فلسطين عن الأمم المتحدة (١٨١/١٩٤٧م) ثم الاعتـــراف الأمريكى ، واعتراف الأمم المتحدة ، بدولة إسرائيل ، ثم تـــوالى الدعم والتحيز الأمريكى لإسرائيل ، حتى اليوم .

---

* انظر :

- منشأ القضية الفلسطينية وتطورها ١٩١٧ ـ ١٩٨ ، نيويورك ، الأمم المتحدة ، ١٩٩٠ .
- د. عبد الوهاب الكيالى ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط١ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٠
- د. محمود منسى ، تصريح بلفور ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٠ .
- محمد على محمد ، وعد بلفور والقوى المتصارعة فى الشرق الأوسط ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، د.ت
- محمد عزة دروزة ، م.س

وما بين وعد بلفور ووعد بولتيمور ، وما بين صك الانتداب وقرار تقسيم فلسطين ، هناك مؤامرات مشتركة بين الحركتين : الصهيونية العالمية ، والاستعمارية الغربية ، وهناك كتب بيضاء كاذبة عديدة ، بشأن القضية الفلسطينية ، ونكوث متتالية للوعود البريطانية والأمريكية ، ومشاريع تقسيم بريطانية أمريكية ، تغنينا المراجع ذات الصلة من سردها ، أو الخوض فى الحديث عنها ، خاصة المراجع التى تناولت دور عصبة الأمم والأمم المتحدة ، كمنبر دولى للخديعة والتآمر ، وفر للحركة الصهيونية ، دعماً قانونياً دولياً ، بعد الدعم الاستعمارى التقليدى (سياسى / اقتصادى / عسكرى) (١٠٠) .

كانت الولايات المتحدة قد قررت أن توجد إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط ، عندما قررت أن تكون هى – الولايات المتحدة – موجودة بنفسها ، فى المنطقة المذكورة ، وهو ما يشير إلى شدة الترابط بين سياستى الدولتين ، إذ تعتبر الولايات المتحدة إسرائيل امتداداً لها ، كإحدى محطات كونية ثلاث ، تتواجد الولايات المتحدة – من خلالها –

---

[100] انظر – مثلا – محمد عزة دروزة ، م.س.
و: صابر عبد الرحمن طعيمة ، الصهيونية فى التاريخ ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، د.ت ، ص١١٣ – ١٤١ .

فى (الكون) ، وهى : ألمانيا فى أوروبا ، اليابان فى آسيا ، وإســرائيل فى الشرق الأوسط وأفريقيا . ومن قبل كانت الولايات المتحدة قد منحت الحركـــة الصـــهيونية وعـــداً والتزامـــاً فـــى مـــؤتمر بلتيمـــور (٩-١١/٥/١٩٤٢) بإنشاء " دولة كاملة " بعد أن كان وعد بلفـــور منصـــباً على إنشاء " وطن قومى" فحسب ([١٠١]) ، وفى مـــايو ١٩٥٠ ، صـــدر التصريح الثلاثي (الأمريكي / البريطاني / الفرنسي) بشأن ضمان أمـــن إسرائيل ([١٠٢]) .

ثم تنامت العلاقة الإستراتيجية ، بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، من خلال أطوار متلاحقة ، فبعـــد أن أدت إســـرائيل دور العميـــل للولايات المتحدة في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٦) أصـــبحت وكـــيلاً عنها بدءا من ١٩٥٦ ، فحليفاً بدءا من ١٩٦٧ ، ثم شريكاً منـــذ اتفاقيات السلام المصرية الإسرائيلية ، ثم وصلت إلـــى درجـــة (الموجه) للسياسة الأمريكية ، فى منطقة الشرق الأوسط ، منـــذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ([١٠٣]) .

---

[101] محمد عودة ، محاضـرة عامـة بـالمؤتمر السنوى الحـادى عشـر للبحـوث السياسـية ، كليـة الاقتصـاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ٦-٨/١٢/١٩٩٧

[102] د. أحمـد يوسـف القرعـى ، القدس قضـية السـاعة ، القـاهرة ، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب ، ٢٠٠٣م ، ص١٢٥-١٢٦

[103] د. نازلى معوض ، تعقيب بعد محاضرة عامة بالمؤتمر السنوى الحادى عشر ، م . س .

المبحث الرابع

المركز القانوني الدولي لمدينة القدس

أولا – القدس تحت القيادة العثمانية :

تمثلت بوادر التدخل الدولي في شئون القدس – في العصر الحديث – فيما عرف بامتيازات الدول الأوربية ، في حماية الأماكن المقدسة في مدينة القدس . ويمكن أن يعد هذا أسوأ وأخطر ما اقترفته الدولة العثمانية ، في حق المدينة المقدسة ، حين جعلت لتلك الدول يدا في أمر القدس ، بمنحها هذه الامتيازات .

أثبتت الدول الأوروبية لنفسها هذه الامتيازات ، فى مؤتمر باريس (مارس ١٨٥٦م) ، ثم فى مؤتمر ومعاهدة برلين ١٨٧٨م . وأثبتت أيضاً ما عرف (بالحقوق الراهنة) للدول الموقعة على تلك المعاهدة ، والتى انصبت على الامتيازات فى الأماكن المقدسة . وظلت تلك المعاهدة هى القاعدة الأساسية ، للتعامل الدولى بشأن القدس ، حتى الحرب العالمية الأولى ، واحتلال الحلفاء مدينة القدس فى ١٩١٧/١٢/٩ (١٠٤) .

---

[104] د. جوزيف موسى حجار ، م.س ، ص ص ٤٢ – ٤٤

كانت الدولة العثمانية قد أمنت حرية العقيدة ، وحق ممارسة الشعائر الدينية ، لكل رعاياها فى القدس ، بفرمان خاص صدر عام ١٨٥٢ ، أكد على " الوضع القائم " فى جميع الأماكن المقدسة ، بحيث تسيطر كل طائفة دينية على أماكن العبادة التى تقدسها . وأقرت هذا الفرمان معاهدات دولية عديدة ، مثل معاهدة باريس ١٨٥٥م ، ومعاهدة برلين ١٨٧٨م ، حيث أقرت مبدأ الحفاظ على الوضع الراهن ، وعدم جواز تغييره إلا بموافقة جميع الأطراف ، وتبنت هذا النظام كل القوى التى سيطرت على القدس بعد ذلك ، بما فيها سلطة الانتداب البريطانى .[105]

تمتعت القدس منذ ١٨٨٧م ، وبناء على مطالب الدول الكبرى – أيضاً – بنوع من الاستقلال الذاتى (Autonomy) وهو غير الحكم الذاتى (self – governing) إذ به استقلت القدس عن المقاطعة – الولاية – العثمانية ، التى كانت تتبعها – دمشق – وأصبحت تابعة لرئاسة الدولة العثمانية مباشرة [106] .

---

[105] د. جعفر عبد السلام ، المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، مجلة الجامعة الإسلامية (القاهرة) ، عدد ٣٠ ، ٢٠٠٠م ، ص ص ٣٠٧ – ٣٢٨ .
و: لجنة يوم القدس ، م.س ، انظر : د. مصطفى أحمد فؤاد ، الحماية الدولية للأماكن المقدسة ، ص ص ٩٥ – ١٠٢ .

[106] د. إحسان هندى ، الوضع القانونى لمدينة القدس فى أحكام القانون الدولى المعاصر ، معلومات دولية (دمشق) ، صيف ٢٠٠٠ ، ص٩٥-١٠١

ثانيا - القدس تحت السيادة الفلسطينية إبان الانتداب البريطاني :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وإنشاء عصبة الأمم المتحدة ، مارست بريطانيا انتدابها على فلسطين باسم العصبة بدءاً من ١٩٢٢ ، وترسخ هذا الأمر بتنازل تركيا عن سيادتها على فلسطين / القدس فى معاهدة لوزان ١٩٢٤م ، وظلت القدس عاصمة لدولة إقليم فلسطين ، منذ بدء الانتداب ، وحتى صدور قرار التقسيم والنظام الخاص بالقدس (١٨١/١٩٤٧) (١٠٧) .

يذكر أن صك الانتداب على فلسطين ، الذى أصدرته عصبة الأمم إلى المملكة المتحدة ١٩٢٢م ، قد وضع فلسطين تحت الانتداب من الفئة (أ) وهو ما يعنى أن الشعب الفلسطينى قد وصل إلى درجة من التقدم - النضج السياسى - يعترف له بموجبها

و: د. أحمد إسماعيل البسيط ، القدس بين الشتات والضياع ، ط١ ، عمان - الأردن ، مطابع الدستور التجارية ، ٢٠٠٠٠ ، ص٨٤

يذكر أن جميع الاتفاقات أو محاولات التسوية المعاصرة تعتمد " الوضع القائم status - quo " فى العهد العثمانى ، خاصة المرحلة الأخيرة منه ، أو ما عرف بالوضع القائم اللاحق - status quo post (يواكيم مبارك . القدس الفضية ، م.س ، ص ص ٧٠ - ٧٤) .

(١٠٧) د. احسان هندى ، م.س ، ود: أحمد إسماعيل البسيط ، م.س ، ص٨٤

و: عدة الشرقاوى ، م.س

بوجوده " كأمة مستقلة " وأن تقوم الدولة المنتدبة بتقديم النصح له (١٠٨) .

إذا كان الراجع والسائد فى الفقه القانونى الدولى ، أن السيادة تبقى موقوفة للشعب الواقع تحت الانتداب ، وأن السيادة لا تنقل إلى الدولة صاحبة الانتداب ، فإن الانتداب على فلسطين لم يغير من المركز القانونى لمدينة القدس شيئاً ، أى إنها لم تخرج من سيادة الشعب الفلسطينى ، صاحب الحق فى وطنه ، وإن كانت السلطة الفعلية تمارسها الدولة صاحبة الانتداب ، إذ ان السيادة القانونية شىء ، وممارسة هذه السيادة بشكل أو بصورة فعلية شىء آخر .

فالقدس – إذن – كمدينة فى إقليم فلسطين ، تخضع لما يخضع له الإقليم ، من أوضاع قانونية ، وتتأثر بما يتأثر به (١٠٩) .

---

108 د. محمد إبراهيم منصور (تحرير) ، القدس : التاريخ والمستقبل ، م.س ، انظر : هانى الحورانى ، القدس فى القرارات الدولية والسياسات الإسرانيلية بين عهد الانتداب ومسيرة التسوية ، ص٤٨٥ .
يذكر أن جميع البلدان العربية – بما فيها فلسطين – قد اعتبرت بلدانا أكثر نضجا ، ولذا فقد عوملت جميع الانتدابات على هذه البلدان باعتبارها انتدابات من الفئة (أ) ، التى تسرى على الأقاليم التى اعترفت لها عصبة الأمم باستقلال مؤقت (فقد استقلت العراق عام ١٩٣٢ ، ولبنان ١٩٤٣ ، وسوريا ١٩٤٤ ، والأردن ١٩٤٦) أما فلسطين فلم يؤد صك الانتداب عليها إلى تمتعها بهذا الاستقلال ، المقرر فى عهد العصبة ، بل أدى إلى صراع قدر له أن يستمر حتى اليوم ؛ إذ شكل تضمين وعد بلفور فى صك الانتداب خرقاً للمادة (٢٢) من عهد عصبة الأمم ، وبات الصك متضمناً نصوصاً متعارضة (للمزيد ، انظر : المرجع نفسه ، ص ص ٤٨٤ – ٤٨٥)

109 د. محمد ابراهيم منصور ، المرجع السابق ، ص٤٨٦

تولت سلطة الانتداب المسئولية كاملة عن الأماكن المقدسة ، ماعدا ما تعلق بإدارة المقامات الإسلامية المقدسة الصرفة ، التى ضمن حصانتها صك الانتداب (المادة ١٣) . وظلت المسئولية عن الأماكن المقدسة ، منوطة بالسلطة المنتدبة ، التى واصلت العمل بترتيبات " الوضع القائم " العثمانية ، والتى تنظم العلاقات فيما بين مختلف الطوائف (١١٠) .

ولو افترضنا أن يهود اليوم هم من سلالة اليهود القدماء ، لا يكون لهم – أيضاً – حق المطالبة بالقدس ، أو بجزء منها وفقاً للقانون الدولى المعاصر ، ففى عام ١٩١٩ قررت لجنة كينج كراين – التى حققت فى رغبات عرب فلسطين – أن من الصعب الأخذ بعين الاعتبار ، الادعاءات التى قدمها ممثلو الحركة الصهيونية ، من أن حقهم فى فلسطين يبنى على احتلالها من قبل اليهود قبل ألفى عام . ولهذا لا يستطيع الكيان الصهيونى اليوم الادعاء بأنه الوريث لتلك الدولة ، التى أنشأها داود وسليمان – عليهما السلام – فى العصور الغابرة ، لأن الوراثة – فى القانون

---

[110] اللجنة المعنية بممارسة الشعب ، وضع القدس ، م.س ، ص٣

الدولى – تكون نتيجة التنازل عن حق السيادة من قبل السكان الأصليين ، لا عن طريق الفتح أو التجزئة أو التقسيم ، والتنازل يكون نتيجة لهزيمة أو صلح أو بيع أو مبادلة او هبة ، وكل هذا لم يحدث من قبل الشعب الفلسطينى للإسرائيليين (١١١) . بل إن بعض ما تزعم إسرائيل الاستناد إليه ، مما كان يجيزه القانون الدولى سابقاً ، كحق الغزو والفتح والضم .. إلخ ، بات يمثل جرائم دولية فى القانون المعاصر (١١٢) . وكذلك ، فإن التنازل لم يعد يجوز ، إلا بعد استفتاء شعبى .

ثالثاً – القدس تحت السيادة الفلسطينية / الأممية منذ صدور قرار التقسيم ١٨١/١٩٤٧م :

بصدور قرار التقسيم الشهير (١٨١/١٩٤٧م) والنظام الخاص بالقدس ، الملحق بهذا القرار ، تم إفراز منطقة (القدس وضواحيها) وأصبحت كياناً منفصلاً (corpus separatum) ذا صفة دولية (international status) (١١٣) . وبموجب هذا القرار ، أصبحت

---

[111] د. عبد الناصر الفرا ، القانون الدولى ووضع القدس ، الاتحاد (أبو ظبى) ، ١٥/٩/٢٠٠٠م

[112] د. كمال قبعة ، مشكلة القدس فى ضوء مبادىء وقرارات الشرعية الدولية ، صامد الاقتصادى (عمان – الأردن) ، يناير ١٩٩٢، ص٩٦-١٠٠

[113] د. هندى ، م.س

القدس تحت الإدارة الجماعية (الأمم المتحدة) ، أى يكـون مجلس الوصاية مسئولاً عن إدارتها ، نيابة عن الأمم المتحدة وباسمها . وتقرر أن يعين مجلس الأمن حاكماً للمدينة ، يعاونه مجلس تشريعى ، وتوضع القدس فى حالة حياد دائم ، ويكون لسكانها رعوية خاصة (١١٤) .

وهناك من يرى أن القرار (١٨١) لم يجرد الفلسطينيين من سيادتهم على القدس ، على أساس أن سكانها احتفظوا بالسلطات التشريعية والقضائية والضريبية ، وأن الذى يتمتع بهذه السلطات الثلاث ، يتمتع بحق السيادة (١١٥) .

قررت الأمم المتحدة عدداً من الضوابط ، التى تحفظ لمدينة القدس هذه الوضعية القانونية ، فهى منطقة تخضع لإدارة جماعية أو دولية (مؤقتة بعشر سنوات ، وتجريبية : أى يتم تقييمها بنهاية هذه المدة ، ويكون عندئذ لسكان القدس حرية التعبير عن رغبتهم ، فى تعديل نظام الحكم بها) ، وأهم هذه الضوابط :

---

[114] د. مفيد شهاب ، القانون الدولى وقضية القدس ، دراسة مقدمة إلى ندوة " القدس فى العقيدة " ،م.س

[115] د. الفرا ، م.س

- قرر البند (د) من الجزء الثالث من القرار ١٩٤٧/١٨١م أن يتولى مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة ، إدارة القدس لفترة أولية مدتها عشر سنوات ، بدءاً من ١٩٤٨/١٠/١ ، يعيد بعدها المجلس دراسة المشروع ، ويصبح سكان المدينة عندئذ أحراراً ، فى التعبير عن رغباتهم- بواسطة استفتاء - فيما يتعلق بإمكانية تعديل نظام حكم المدينة (*) .

- نص القرار المذكور أيضاً على أنه " يجب على مجلس الأمن أن يعد كل محاولة ترمى إلى تغيير نظام حققه وقضى به المشروع ، بوساطة القوة ، تهديداً للسلم ، وقطعاً للعلاقات الدبلوماسية ، وعملا عدوانياً (١١٦) .

- وضعت الأمم المتحدة للاعتراف بإسرائيل عدة شروط كان فى مقدمتها ، عدم تغيير إسرائيل لوضعية القدس ، والسماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين (١١٧) .

* يعد القرار ١٩٤٧/١٨١ أول معالجة قانونية دولية لقضية القدس ، تقدم بها المجتمع الدولى ، إذ اعتبر أن تدويل منطقة القدس ، هو أفضل وسيلة لحماية جميع المصالح الدينية بها (هانى الحورانى ، القدس فى القرارات .. ، م.س ، فى د. محمد إبراهيم منصور (تحرير) ، م.س ، ص ص ٤٨ - ٤٨٩)

[116] د. هندى ، م.س

[117] د. عبد الرازق السامرانى ، إسرائيل - الخطر والمخادعة ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٨م ، ص١٣٦

وبدهى أن إسرائيل كانت ملمة بكل هذه الضوابط ، فقد كان قـــرار التقسيم بمثابة شهادة ميلادها ، ثم إنها أقرت بالوضـــع القـــانونى الدولى لمدينة القدس ، إذ جاء فى حديث مندوبها الدائم أمام هيئة الأمم المتحدة ، أثناء مناقشة قبول إسرائيل عضواً فى الهيئـــة : " إن النظام القانونى لمدينة القدس ، مختلف عن الأراضى الخاضعة للسيادة الإسرائيلية.

The legal status of Jerusalem is different from the territory , in which Israel is sovereign "([118]).

ولا تزال الواقعة القانونية للقرار ١٨١ – باعتباره قاعدة (آمـــرة إلزامية) – قائمة ، وتشكل الأساس المرجعى للمسألة الفلسطينية ، بما فيها مدينة القدس ، التى أخضـــعها القـــرار المـــذكور لنظـــام الوصاية الدولى (١١٩) .

يعد القرار ١٩٤٧/١٨١ قاعدة قانونية دولية (آمرة) لا يجـــوز مخالفتها أو الإخلال بها ، ولا يمكن تغييرها إلا بقاعدة لها نفـــس الصفة . وإذا كان بعض فقهاء القانون الدولى ، وكذا بعض الدول

---

[118] د. هندى ، م.س

[119] د. قبعة ،م.س ، ص١٠١ ـ ١٠٢ ، (لا يعد فقهاء آخرون القرار ١٩٤٧/١٨١) قاعدة آمرة

، يتجهون إلى عدم قبول فكرة تأثر صحة ما تم الاتفاق عليه ، بموافقته أو عدم موافقته لقاعدة عرفية تسمى بقاعدة آمرة ([120]) ، فإن قولهم أو اتجاههم هذا لا ينطبق على القرار ١٨١ كقاعدة (آمرة) إذ إنه ليس مجرد قاعدة عرفية ، بل إنه بمنزلة اتفاق للإرادة الدولية ، فى هيئة قرار ، صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وصدق عليه – مراراً – مجلس الأمن الدولى .

ليس بين القرارات الدولية جميعاً ، قرار يلغى القرار (١٨١) . وقد كانت المحاولة الوحيدة التى جرت لشطب هذا القرار ، واستبداله بقرار آخر ، من جانب الولايات المتحدة عام ١٩٤٨ ، حيث طلبت من مجلس الأمن رفض القرار ، ودعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة – مجدداً – لعقد دورة خاصة بفلسطين ، للنظر فى إلغاء خطة التقسيم ، واتخاذ قرار آخر ، يقضى بوضعها بأكملها تحت وصاية الأمم المتحدة مؤقتاً ، فتحركت دول وقوى عديدة – فى مقدمتها الحركة الصهيونية – لإفشال هذا المسعى الأمريكى ([121]) .

---

[120] د. إبراهيم محمد العنانى ، القانون الدولى العام ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٢/ ص١٦

[121] د. قبعة ، م.س ، ص١٠١

فشل تطبيق نظام تدويل القدس ، وكذلك لم يطبق قرار التقسيم ١٩٤٧/١٨١ ، فقد ظل نظام التدويل معطلاً ، نتيجة معارضته ، من جانب كل الدول العربية وإسرائيل ، وعدم تعاون الجانبين مع مجلس الوصاية الدولية فى تنفيذه [١٢٢] ، ثم أثبت ذلك مجلس الوصاية فى قراره (١٩٥٠/٢٣٤) ، ومن قبل كان هذا المجلس قد أقر إنهاء إعداد مشروع نظام تدويل القدس فى قراره (١٩٥٠/١١٧) ، ومن جانبها ألغت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، الاعتمادات المالية الخاصة بهذا النظام ، فى قرارها (١٩٥٠/٤٦٨) [١٢٣] .

غير أن عدم قبول العرب بقرار التقسيم لا يعنى إلغاءه ، ولا يعنى عدم إمكانية العودة إليه للاستفادة منه ، إذ ان المتفق عليه - قانونياً - أن عدم تطبيق أحد قرارات هيئة الأمم المتحدة ، أو حتى خرقه ،

---

[122] الحورانى ، م.س ، الصفحة ذاتها
و: حجار : م.س ، الصفحات ذاتها
و: د. شهاب ، م.س
والرسائل المتبادلة بين مجلس الوصاية ، وكل من حكومتى الأردن وإسرائيل - فى إبريل ومايو ١٩٥٠ - بشأن مدى استعداد الأخيرتين للتعاون مع المجلس المذكور ، على تطبيق النظام الدولى لمدينة القدس ، فى : القدس ، وثائق أساسية وقرارات ، م.س

[123] محمود عواد (جمع وتصنيفات) ، القدس فى قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧ ، عمان ، اللجنة الملكية لشئون القدس ، ١٩٩٥ .

لا يعنيان – بتاتاً – إلغاء القرار المذكور ، أو سقوطه بالتقادم ،لأن القرارات الدولية لا تسقط بالتقادم (impreseribility) . ويبقى – كذلك – تقسيم مدينة القدس ، بين الأردن وإسرائيل – بنهاية حرب ١٩٤٨ ، وتوقيعهما الهدنة فى ١٩٤٩/٤/٣ – مجرد عمل من أعمال السلطة الواقعية (voie de fait) من حيث الشرعية الدولية ، ويبقى الوضع القانونى الدولى للمدينة،كما رسمه قرار التقسيم ([١٢٤]) والواقع ، أن العرب والمسلمين وقفوا – دائماً – ضد تدويل المدينة ، مستندين إلى مجموعة من الحجج ، فى مقدمتها أن القدس مدينة عربية محتلة ، وأن التدويل ينزع ملكيتها رغماً عنهم ، كذلك فقد عرفت المدينة الاستقرار فى ظل الحكم العربى الإسلامى لها ، ولم تكن هناك مشاكل لها أهميتها ، طوال فترة

---

[124] د. هندى ، م.س

وللمزيد عن استمرارية سريان القرار ١٩٤٧/١٨١ ، راجع :

- د. قبعة ، م.س ، ص١٠٣ (متضمنا تصريح الأمين العام للأمم المتحدة فى ١٩٨/١١/١٥ بهذا الشأن) .
- د. محمد إبراهيم منصور ، م.س ، انظر : هانى الحورانى ، م.س
- تصريح لعمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية ، الأهرام (القاهرة) ٢٠٠٠/٧/٧
- د. عبد الحسين شعبان ، م.س
- طاهر شاش ، شارون والقرار ١٨١ الأهرام (القاهرة) ١٩٩٩/٤/١٩
- كارم يحيى ، الموقف الأوروبى من القدس لا يكفى – المبعوث الأوروبى للسلام فى الشرق الأوسط يحاول إحياء مرجعية ١٩٤٧/١٨١، الأهرام ١٩٩٩/٣/٢٠
- إعلان المجلس الوطنى الفلسطينى بقيام دولة فلسطين – الجزائر ١٩٨٨/١١/١٥
- الأزعر ، أية قدس .. ،م.س

السيطرة العربية على المدينة ، وأخيراً فإن تجارب التدويل التـــى جرت فى العصر الحديث ، لم تلق نجاحاً سواء بالنسبة لمدينـــة " دانزج الحرة " ، أو لمدينة "تريستا" ، التى انتهى الحال بهما إلـــى الخضوع لسيطرة إحدى الدول (١٢٥) .

والتزاماً بهذا الموقف العربى ، غيرت الكنائس المسيحية بالقدس ، من موقفهـــا ، فبعـــد أن كانـــت جميعهـــا – باســـتثناء الكنيســـة الأرثوذكسية القبطية المصرية – تنادى بالتدويل ، إذ بهـــا تؤيـــد المطالب الفلسطينية ، بالسيادة الكاملة على شرق القدس (١٢٦) .

غير أنه ، وكرد فعل على التعنت الإسرائيلى المتواصل ، تضـــطر بعض الأطراف الإقليمية والدولية إلى التلويح – أحياناً – بإمكانية العودة إلى بحث تدويل القدس ، لتفويت الفرصة على إســـرائيل ، الطامعة فى القدس بأكملها . وكما سبق ، فقد صرح بمثل هـــذا ، رئيس المجلس التشريعى الفلسطينى الســـابق – أحمـــد قريـــع – وكذلك فعلت الكنيسة القبطية .وفى رسالة إلى إسرائيل – مـــارس

---

[125] د. جعفر عبد السلام ، المركز القانونى الدول لمدينة القدس ، مجلة الجامعة ، م.س

[126] د. يوحنا قلتة ، م.س

و: مها عبد الفتاح ، مرحبا بالتحول البائن لمواقف الكنائس بالقدس ، الأخبار (القاهرة) ،٢٠٠٠/١٢/٢٧

١٩٩٩ – لم يكتف الاتحاد الأوروبى بالتشكيك فى سيادة إسرائيل على القدس ، بل دعا إلى تدويلها ([127]) .

رابعا – إسرائيل تحتل غرب القدس فى ١٩٤٩/٤٨ بالقوة الحربية :

١ – وقائع احتلال غرب القدس :

فى فجر ١٤ مايو ١٩٤٨ تركت السلطات البريطانية الانتدابية القدس ، وفى اليوم ذاته أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل ، وبدأوا هجوماً شاملاً . وفى القدس دارت أقسى المعارك وأشدها ، منذ اليوم الأول ؛ إذ كانت المدينة المقدسة هى المحور الأساسى ، الذى دارت حوله الحرب كلها ، واستولى اليهود على المناطق التى كان يعيش فيها العرب واليهود ، ثم تلك التى كان يقطنها العرب فقط ، ولم يتوقفوا إلا عند أسوار المدينة القديمة ([128]) .

كانت الأحداث قد تطورت – عقب صدور قرار التقسيم – إلى مواجهة مسلحة كبرى ، وأعلنت بريطانيا أنها سوف تنهى الانتداب على فلسطين فى ١٩٤٨/٥/١٥ ، أى قبل عدة شهور من

---

127 شالوم بروشليمى ، القدس قضية للمصالحة ، معاريف الإسرائيلية ، ١٩٩٩/٣/١٥ ، عن مختارات إسرائيلية (القاهرة) ، مايو ١٩٩٩ ، ص٣٨

128 جاك رينيه ، القدس ١٩٤٨ ، ترجمة وتقديم نبيل سعد ، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، ٢٠٠٠ ، ص١٦٣-١٦٤

الموعد المقرر فى مشروع الأمم المتحدة ، لاستقلال الدولتين العربية واليهودية – ١٩٤٨/١٠/١ – ومع إعلان انسحاب بريطانيا ، وعجز الأمم المتحدة عن أن تحل محل بريطانيا كسلطة حاكمة فعلية ، بادرت الحركة الصهيونية إلى السيطرة على إقليم الدولة اليهودية الناشئة ، وفى ١٩٤٨/٥/١٥ نشبت أول حرب عربية إسرائيلية ، وبحلول خريف ١٩٤٨ كان الإسرائيليون قد احتلوا قسماً كبيراً من أراضى الدولة العربية المقترحة – ومدينة القدس الجديدة بكل أحيائها العربية ، واحتل الأردنيون القدس القديمة ، وبانتهاء الحرب كان الإسرائيليون قد تمكنوا من احتلال ٦٦,٢% من المساحة الكلية للقدس ، التى تقرر تدويلها حسب مشروع التقسيم (١٢٩) .

بتوقيع اتفاقية الهدنة ، بين إسرائيل والأردن فى إبريل ١٩٤٩ ، تأكد تقسيم القدس- واقعاً – بين الطرفين ، ثم عبرت إسرائيل عن أطماعها التوسعية فأعلنت أن حرب ١٩٤٨ / ١٩٤٩ قد بدلت عناصر جديدة مما أقرته المنظمة الدولية عام ١٩٤٨ ، وأنه لابد

---

[129] هانى الحورانى ، م.س ، ص ص ٤٩٢ - ٤٩٣

أن تراعى هذه العناصر فى مفاوضات السلام النهائة ، ورفضت فى مذكرة لاحقة – رفعتها إلى الجمعية العامة فى ١٦/١١/١٩٤٩ – كل فكرة تستند إلى التدويل ، مدعية أن الوضع الراهن ، أى التقسيم الفعلى للمدينة ، هو الذى يقره الحكم القانونى ([١٣٠]) .

الجزء الغربى من القدس ليس – إذن – يهودياً ، كما يعتقد – خطأ – الكثيرون ، فقد امتلك العرب ثلاثة أرباع أراضيه ومبانيه ، وأقاموا فى خمس عشرة ضاحية به ، احتلت إسرائيل منها ثلاث عشرة ، وبفعل عمليات الطرد والإبعاد والتهجير ، استطاعت إسرائيل زيادة عدد سكان المدينة فى جزئها الغربى من (٨٤ ألفا) عام ١٩٤٨ إلى (١٩٦ ألفا) عام ١٩٦٧ ، وكانت قد أعلنت ذلك الجزء الغربى من المدينة عاصمة لها فى ١ ديسمبر ١٩٤٩ ([١٣١]) وراحت تنتهج سياسة فرض الأمر الواقع (de facto) فى غرب القدس ([١٣٢]) .

٢ – حيثيات عدم شرعية الوجود الإسرائيلى بغرب القدس :

أ – تنكرت إسرائيل – بعد الاعتراف بها من المنظمة الدولية – للقرار ١٨١/١٩٤٧ الذى كان بمثابة شهادة ميلادها ، وتنكرت لما

---

[130] د. جوزيف موسى حجار ، م.س ، ص ص ٥٤-٥٨

[131] د. قبعة ، م.س ، ص ١٠٠

[132] الحورانى ، م.س ، ص ص ٤٩٢-٤٩٣

تعهدت به تجاه منطقة القدس ، بينما كان ذلك التعهد أحد الشروط الموضوعية ، التى بقبول إسرائيل إياها تم ذلك الاعتـــراف مـــن المنظمة الدولية . ثم لم تحفظ إســـرائيل وضـــعية القـــدس ، بـــل اجتهدت فى تغييرها – تهويدها – وارتكبت أعمالاً حربية عدوانية غيرت بها – أى بالقوة – النظام الذى حققه ، وقضى به مشروع – قرار – التقسيم .

ب – تنكرت إسرائيل لتعهدها أمام هيئة الأمم المتحدة ، بأن النظام القانونى لمدينة القدس يختلف عن الأراضى الخاضـــعة للســـيادة الإسرائيلية ، وبعد احتلالها غرب القدس ، أعلنته عاصمة لهـــا ، وانتهجت فيه سياسة الأمر الواقع ، وادعـــت أن حـــرب ١٩٤٨ / ١٩٤٩ قد بدلت عناصر جديدة ، زاعمة ضـــرورة مراعـــاة هـــذه العناصر فى المفاوضات النهائية للتسوية ، وتنكرت فى مذكرة إلى الأمم المتحدة ، لكل فكرة تستند إلى التدويل ، زاعمة أن التقســـيم الفعلى للمدينة – بعد الحرب – هو البديل عن الحكم القانونى .

ج – بينما لا يوجد فى أى من مقررات الشرعية الدولية ، ما يشير إلى الاعتراف بسياسات وممارسات إسرائيل فى غـــرب القـــدس ،

نجد – فى المقابل – العديد من القرارات التى تتناول القدس كوحدة إقليمية خاصة ([133]) .

د – برغم أن إسرائيل احتلت غرب القدس بكل أحيائه العربيـــة ، فإن ذلك لم يمنع الجمعية العامة للأمم المتحدة ، من الإصرار على تدويل منطقة القدس ، فصوتت على قرارها رقم ١٩٤ فـــى ١١/ ١٢/ ١٩٤٨م ، الذى أنشأ " لجنة التوفيـــق " ، وكلفهـــا بتقـــديم مقترحات للدورة التالية – الرابعة – للجمعية العامة ، تهدف إلـــى إقامة نظام دولى دائم للقدس ، وبتسهيل عـــودة اللاجئـــين([134]) ، وفى الدورة المذكورة أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم (٣٠٣) فى ١٩٤٩/١٢/٩م ، الذى ينادى بإنشاء وضـــع قـــانونى دولـــى لمنطقة معينة من القدس ، والذى لـــم يعتـــرف قانونيـــاً بســـيادة إسرائيل أو الأردن ، على أى من المنطقة المحـــددة فـــى القـــرار السابق (١٩٤) ([135]) .

---

[133] د. قبعة ، م.س ، ص١٠١

[134] موسوعة القدس ، م.س ، ملف (أحداث : خريف ١٩٤٨م)

[135] د. هندى : م.س

و: محمود عواد ، م.س

هـ - بعد إعلان الكنيست غرب القدس عاصمة لإسرائيل في ديسمبر ١٩٤٩ بهدف فرض سياسة الأمر الواقع ، أصدر مجلس الوصاية - بموجب صلاحياته المقررة بنظام التدويل - قراراً مضاداً (١٤ في ٢٠/١٢/١٩٤٩م) ببطال الإعلان الإسرائيلي ، وبطلان نقل إسرائيل بعض دوائرها الحكومية إلى غرب القدس ، وحسنا فعل المجلس ، إذ أكد - بذلك - المركز القانوني لغرب القدس ، كأرض محتلة تخضع لاتفاقيات جنيف [136] .

و - واصلت الأمم المتحدة تجاهلها للادعاءات الإسرائيلية ، وممارسات فرض الأمر الواقع في غرب القدس ، فأقرت الأمم المتحدة من جديد مبدأ التدويل الصادر في ٢٩/١١/١٩٤٧م ، وأصدرت هيئة الوصاية التابعة للمنظمة الدولية ، نظام الإدارة الدولية الخاص بالمدينة المقدسة في الرابع من إبريل ١٩٥٠ [137]

ز- عندما طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة - في منتصف ١٩٥٣م - نقل سفارتها إلى القدس ، أجاب وزير الخارجية

[136] الحوراني ، م.س ، ص٤٩٢-٤٩٣

و: حسن أحمد عمر ، المركز القانوني للقدس عاصمة لفلسطين ، ج٢ ، الأهرام (القاهرة) ، ١٢/٨/١٩٩٨

و: محمود عواد ، م.س

[137] د. حجار ، م.س ، ص ص ٥٤ - ٥٨

الأمريكية – جون فورستر دلاس – برفض بات وحاسم ، مؤكـداً أن هذا النقل لا يأتلف مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ، التى تقرر وضعاً دولياً لمدينة القدس ، أى إن الولايات المتحدة لـم تعتـرف بسيادة إسرائيل على غرب القدس . وكذلك أكدت وزارة الخارجية البريطانية الموقف نفسه ، فى ردها على سؤال بمجلس العموم فى ١٩٦١/١١/٢٧ ، موضحة أنه إذا كانت حكومة جلالة الملكة ، قد اعترفت منذ ١٩٤٩ اعترافاً واقعياً (de facto) بسلطة إسـرائيل والأردن على القسم الذى تحتله كل منهما فى القـدس ، فإنهـا – حكومة الملكة – بالاتفاق مع الحكومات الأخـرى ، لـم تعتـرف قانونياً بسيادة إسرائيل أو الأردن ، على أى جزء مـن المنطقـة المحددة للتدويل ، فى القرار ١٩٤٩/٣٠٣م الذى سبقت الإشـارة إليه (١٣٨) .

وإلى جانب الولايات المتحدة وبريطانيا ، فلم تعترف أيـة دولـة بسيادة إسرائيل على غرب القدس ، قبل حرب يونيه ١٩٦٧ (١٣٩) ، وإن اعترف – لاحقاً – عدد قليل من الدول ، بالقدس عاصـمة

---

[138] د. هندى ، م.س

[139] الحورانى ، م.س ، ص٤٩٢-٤٩٣

لإسرائيل ، مثل هولندا ، ومن دول أمريكا اللاتينية : كوستاريكا – كولومبيا – بوليفيا – السلفادور – الاكوادور – تشيلى – الدومينيكان – بنما – هايتى – الأرجواى – جواتيمالا – فنزويلا (١٤٠) ، وكيان هزيل آخر ، له تمثيل غير معترف به يسمى صربسكا (١٤١) .

ح – لايزال الفلسطينيون الذين تم طردهم من غرب القدس فى ١٩٤٨و١٩٤٩ يحملون مفاتيح بيوتهم ، ومستندات أملاكهم بها(*) .

ط – أما عن شرق القدس ، بما فيه (القدس القديمة) فقد احتلته إمارة شرق الأردن فى حرب ١٩٤٨ / ١٩٤٩ ، وظل وديعة لديها

---

[140] د. هندى ، م.س

[141] محمود كريم (سفير) ، القدس : العاصمة التى لن يعترف بها أحد ،الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٧/١٢م

* للمزيد عن المرجعية القانونية والتوثيقية ، للسيادة العربية على القدس ، وإثبات ملكية الفلسطينيين للأراضى والعقارات الإنشائية ، بغرب القدس ، راجع :

- د. أحمد عبد الونيس شتا ، السيادة العربية على القدس ، دراسة تأصيلية فى ضوء أحكام القانون الدولى المعاصر ، بحث مقدم إلى الندوة العالمية حول القدس التى نظمها الاتحاد البرلمانى الدولى ، الرباط ٢٦-٢٨ نوفمبر ١٩٩٨م .

و: - Ahmed Jadallah & khalil Tafakii, documenting Arab Property in west Jerusalem , in Salim Tamari (ed) , Jerusalem 1948 , second revised edition , Jerusalem , the institute of Jerusalem studies 2002, pp : 261 – 271

- A survey of Palestine – prepared in December 1945 and January 1948 for the - information of the Anglo – American committee of inquiry , printed by the government printer, Palestine , February 1946 k volume 1.pp:266-308& volume 2 pp : 900-906

، حتى ضمته – مع الضفة الغربية – مكونة (المملكة الأردنية) فى ١٩٥٠/٤/٢٢ ؛ رداً على إعلان إسرائيل غرب القدس عاصمة لها ، فى ١٩٥٠/١/٢٣ لكن لم تعترف أية دولة للأردن بسيادة علـــى شرق القدس – باستثناء باكستان – رهناً بالبت فى وضع المنطقة نهائياً ([١٤٢]) .

خامسا – إسرائيل تحتل شرق القدس بـالقوة الحربيـة فـى يونيـة ١٩٦٧م :

لم تضع حرب يونيه ١٩٦٧ أوزارها ، حتى كانت إســرائيل قــد أتمت احتلالها شرق القدس ، بل القدس كاملة ، وتلاحقت – إثــر ذلك – الانتهاكات الإسرائيلية وعمليات المصــادرة والاســتيطان والتهويد ، وإعلان ضم شرق القدس ، ثم أصــدرت مــا أســمته (القانون الأساسى) بشأن القدس ١٩٨٠ زاعمة أنهــا عاصــمتها الموحدة الأبدية .

[142] الحورانى ، م.س ، ص٤٩٣
و: د. حجار ، م.س ، ص٥٨
و: حسن أحمد عمر ، م.س ، ج٢

جاء تصدى الأمم المتحدة للسياسات الصهيونية فى الشطر الشرقى من مدينة القدس ، منذ يونية ١٩٦٧ ، امتداداً لموقف الشرعية الدولية بشأن القدس ، منذ صدور القرار ١٨١/١٩٤٧[١٤٣] ، كما توضح النقاط التالية :

١ – تركزت مقررات الشرعية الدولية – قرارات الأمم المتحدة – إزاء قضية القدس – فى الفترة من يونية ١٩٦٧ حتى سبتمبر ١٩٩٣ على المحاور التالية (*) :

---

[143] د. قبعة ، م.س ، ص ١٠٤

* انظر :
- محمود عواد ، م.س
- القدس : وثائق أساسية وقرارات دولية ، م.س
- قضية القدس والقرارات الدولية فى :
http//www.bma-alqods.org/Arabic/action06.htm (11-04-2004)
- اللجنة المعنية ، وضع القدس ، م.س ، صفحات : ٢٦-٣١ ، ٤٠-٤١
- عبد الله راشد العرقان ، صفحات : ٥٦-٦٢ ، ١٠٠-١٠٦ ، ١٤٩-١٥٢
- هانى الحورانى ، م.س ، ص ص ٥٠٠-٥٠٣
- موسوعة القدس ، م.س ، ملف (أحداث : ١٩٦٧ ـ ١٩٩٣م)
- د. مفيد شهاب ، القانون الدولى وقضية القدس ، م.س
- البعد القانونى الدولى لقضية القدس ، م.س
- د. جعفر عبد السلام ، المركز القانونى .. ، م.س
- د. أحمد محمد رفعت ، الوضع القانونى لمدينة القدس فى ضوء قواعد القانون الدولى ، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الدولى السابع ،م.س
- لجنة يوم القدس ، م.س انظر :

* جورج طعمة ، القدس فى الأمم المتحدة ١٩٤٨ ـ ١٩٨٠ ، ص ص ٣٦١ ـ ٣٦٨

* د. مصطفى أحمد عفيفى ، الحقوق العربية فى مدينة القدس (رؤية تاريخية وقانونية فى ضوء قرارات منظمة الأمم المتحدة) ص ص ٣٣٧-٣٦٠

* د. هانى إلياس الحديثى و: عصام فاهم العامرى ، الحقوق العربية الفلسطينية فى القدس ما بين الشرعية الدولية وسياسة التهويد الإسرائيلية ، ص ص ٣٠٣ ـ ٣٣٦ .

أ – التأكيد على استمرار سريان كافة قرارات الأمم المتحدة ، الصادرة بشأن القضية الفلسطينية وقضية القدس ، بدءاً من القرار ١٩٤٧/١٨١ ، والتنويه بالرغبة فى وضع فلسطين – كاملة – تحت إشراف الأمم المتحدة لفترة محدودة كجزء من عملية السلام الجارية فى الشرق الأوسط .

ب – مطالبة إسرائيل بالجلاء عن الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس ، واعتبار اتفاقيات التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، تشجيعاً على الاستمرار فى السياسة العدوانية التوسعية .

ج – إدانة اجراءات المصادرة والضم والاستيطان والتهويد وتغيير التكوين الديموجرافى ، ومطالبة إسرائيل بإلغائها ، واعتبارها باطلة ولا تؤثر على المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، وإعلان انطباق اتفاقيات جنيف على جميع الأراضى المحلتة عام ١٩٦٧ .

- سالى ماليسون ، المستوطنات الإسرائيلية من منظور القانون الدولى ، م.س
- جريس سعد خورى ، م.س . انظر :
* على مصطفى رافع ، هوية القدس فى القانون الدولى ، ص ص ٢٨٥ – ٣٢٣
* د. موسى دويك ، سحب مكتبة الداخلية الإسرائيلى لبطاقات هوية مواطنى القدس وقواعد القانون الدولى ، ص ص ٣٥١ - ٣٥٨

د – مطالبة إسرائيل بالكف عن الحفريات الأثرية ، خاصة حول المقدسات الدينية بالمدينة ، ومطالبتها بإعادة الوثائق ، التى استولت عليها من المحكمة الشرعية ، فى القدس المحتلة .

هـ – تأكيد حق العودة للمبعدين الفلسطينيين ، بما فيهم المقدسيون ، إلى المناطق التى خرجوا منها ، وإدانة أعمال العنف التى ارتكبتها إسرائيل ضد جميع الفلسطينيين ، ومطالبتها بالوفاء بالتزاماتها القانونية ، المقررة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة .

و – رفض قرار إسرائيل بضم شرق القدس ، وعدم الاعتراف بما أسمته إسرائيل (القانون الأساسى) بشأن القدس ، الصادر عام ١٩٨٠م ، ودعوة جميع الدول إلى سحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس (*) .

٢ – وإذا لم يكن مجلس الأمن قد أشار صراحة ، إلى وضع القدس فى قراره ٢٤٢/١٩٦٧م ، فإنه تداركاً منه لهذا التقصير – سعى إلى عقد سلسلة اجتماعات حول القدس ، فى مايو ١٩٦٨ ، للبحث فى الوضع النهائى لهذه المدينة ([١٤٤]) .

---

* يذكر أن المجموعتين العربية والإسلامية بهيئة الأمم المتحدة ، دعتا مجلس الأمن للانعقاد آنذاك ، وقدمتا إليه مشروع القرار الذى أصدره المجلس (٤٧٨ / ١٩٨٠) على ما تضمنته هذه النقطة (فضل الطحان ، منظمة المؤتمر الإسلامى – لجنة القدس ، معلومات دولية ، م.س ص ص ٧٨ – ٨٥ .

[144] جورج رجى ، م.س

وفى قراره (١٩٦٨/٢٥٢) دعا مجلس الأمن إسرائيل ، إلى إلغاء جميع إجراءاتها لتغيير وضع القدس ، وكرر هذه الدعوة فى قراره (١٩٦٩/٢٦٧) و(١٩٧١/٢٩٨) ، وطالبهـا بوقـف الأنشـطة الاستيطانية فى القدس فى القرار (١٩٧٩/٤٥٢) وطالبها أيضـاً بتفكيك القائم من المستوطنات فى القرار (١٩٨٠/٤٦٥) ، وأعلن عدم الاعتراف بما اشتهر بـ (القانون الأساسى) بشأن القـدس ، ودعا الدول إلى سحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس فى القـرار (١٩٨٠/٤٧٨) ، وأكد انطباق اتفاقيـة جنيـف علـى الأراضـى المحتلة عام ١٩٦٧ فى القرار (١٩٩٢/٧٢٦) ([١٤٥]) ، وبالفعـل قامت اثنتا عشرة دولة بسحب سفاراتها من القدس ، من مجموع ثلاث عشرة ، ولم يبق سوى سفارة كوستاريكا ([١٤٦]) .
تحصر مصادر إسرائيلية هذه الدول – حالياً – فى ثـلاث فقـط هـى : الولايات المتحدة ، وكوستاريكا ، والسلفادور ، وتذكر أن هـذه الـدول

[145] محمود عواد ، م.س
[146] حسن أحمد عمر ، م.س
و: غادة الشرقاوى ، م.س

الثلاث لا تعترف بغير (القدس الغربية) عاصمة لإسرائيل، وأنه لا توجد دولة احدة تعترف بسيادة إسرائيل على شرق القدس (١٤٧) .

ونتيجة لتمادى إسرائيل فى سياساتها الاستيطانية فى فلسطين المحتلة ، شكل مجلس الأمن فى ١٩٧٩/٣/٢٢ لجنة لتقصى الحقائق ، بشأن أثر المستوطنات على الإقليم المحتل ، وأصدرت اللجنة تقريرها كوثيقة رسمية فى ١٩٧٩/٧/٢٢ تبرز الانتهاكات الجسيمة فى الأراضى المحتلة وضمنها القدس ، وأقر المجلس هذا التقرير (١٤٨) .

٣ – يمكن تقرير بطلان ضم إسرائيل مدينة القدس ، ببيان مخالفتها لقوانين وقواعد الحرب والاحتلال العسكرى ، والقواعد العامة للقانون الدولى المعاصر ، كما يلى (*) :

– تعارض عملية الضم هذه مع القواعد الآمرة ، القاضية بعدم جواز ضم الاراضى بالقوة ، وغيرها من مبادىء الأمم المتحدة ، وقواعد العلاقات الدولية .

---

[147] رونى سيناى ، وضع القدس ، هارتس (تل أبيب) ، ١٩٩٩/٣/١٤ ، نقلاً عن مختارات إسرائيلية (القاهرة) ، إبريل ١٩٩٩ ، ص ص٥١-٥٣د

و: Israel the confelict and peace – answers to frequently asked questions , Jerusalem , ministry of foreign affairs , information and internet division . November 2003 . p. 39-40

[148] د. كمال قبعة ، م.س ، ص١٠٦-١٠٧

* د. عبد الحسين شعبان ، القدس والقانون الدولى ، م.س

- تعارضها مع الإعلان العالمى بشأن منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة بالفتح والمناطق التابعة (١٩٦٠) .

- تعارضها مع الإعلان العالمى لحقوق الإنسان (١٩٤٨) والاتفاقيتين الدوليتين الخاصتين بحقوق الانسان المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦) .

- تعارضها مع (تصريح التعايش السلمى) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى دورتها (٢٥) بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٢٤ بشأن علاقات الصداقة والتعاون بين الدول .

- تعارضها مع قرار الجمعية العامة ١٩٧٤/٣٣١٤ حول تعريف ماهية العدوان .

- تعارضها مع اتفاقيات جنيف الأربعة ، الصادرة فى ١٩٤٩/٨/١٢ ، خاصة الاتفاقية الرابعة ، حول الأراضى المحتلة ، وحال السكان المدنيين ، وكذلك تعارضها مع البروتوكولين الملحقين الصادرين عن المؤتمر الدبلوماسي المنعقد فى جنيف ١٩٧٧م .

٤ – وتمشياً مع قرارات القمة العربية ، والأمم المتحدة ، باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب

الفلسطينى ، أعلنت المملكة الأردنية فك الارتباط القانونى والإدارى مع الضفة الغربية عام ١٩٨٨ .

٥- أعلن المجلس الوطنى الفلسطينى (الجزائر - ١٩٨٨/١١/١٥) قيام دولة فلسطين - وعاصمتها القدس الشريف - داخل حدود قرار التقسيم ١٩٤٧/١٨١ .

حظى إعلان الاستقلال هذا على دعم واعتراف أكثر من مائة دولة ، خلال أشهر قليلة بعد صدوره (١٤٩) .

نص هذا الإعلان على أن القدس الشريف هى عاصمة الدولة الفلسطينية ، وباعتراف ١٢٤ دولة بقيام فلسطين على هذا الأساس ، تكتسب القدس مركزاً قانونياً دولياً ، كعاصمة لفلسطين ، بينما - على الجانب الآخر - نجد العالم كله يعتبر الوجود الإسرائيلى فى القدس ، وجوداً غير شرعى ، لقوة احتلال ليس لها إلا مجرد إدارة المدينة ، إلى حين عودة السيادة الوطنية إليها ، بعد التحرير .

بهذا تكون الدول الـ ١٢٤ التى اعترفت بقيام دولة فلسطين ، قد تجاوزت الوضع الخاص لمدينة القدس ، الذى تقرر فى القرار (١٩٤٧/١٨١) وأثبتت لها مركزاً قانونياً جديداً (عاصمة لفلسطين) .

---

[149] المرجع السابق .

وعلى أساس الإعلان نفسه ، رحبت الأمم المتحدة – الجمعية العامـــة – بقيام دولة فلسطين ، وعدلت مسمى بعثة منظمة التحرير الفلســطينية ، لدى الأمم المتحدة إلى مسمى بعثة فلسطين، بل إنها قامت – مؤخراً – برفع مستوى تمثيل بعثة فلسطين ، إلى مستوى تمثيل بعثات الــدول ، باستثناء حقى الترشيح والتصويت ، ولم يكن يخفى على الهيئة الدولية ، أن إعلان قيام دولة فلسطين ، قد نص على أن عاصمة هذه الدولـــة هى (القدس الشريف) (*) .

سادسا – القدس فى مقررات مؤتمر مدريد للسلام (١٩٩١) ([١٥٠]):

أشار د. حيدر عبد الشافى ، رئيس الوفد الفلسطينى إلى مــؤتمر مدريد ، فى كلمة الوفد الفلسطينى ، فى جلسة افتتاح المــؤتمر –

---

* للمزيد عن المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، راجع :

- د. جعفر عبد السلام ، المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، بحث مقدم إلى ندوة القدس : ماضيها ومستقبلها ، م.س
- حسن أحمد عمر ، المركز القانونى للقدس .. عاصمة فلسطين ، ج١ ، ج٢ ، ج٣ ، الأهرام (القاهرة) ، ١١ ، ١٢ ، ١٩٩٨/٨/١٣
- الدولة الفلسطينية : حدودها ومعطياتها وسكانها ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٩١ ، ص ص ٩٣ _ ١١٢
- عمر مصالحة ، السلام الموعود ، ط١ ، بيروت ، دار الساقى ، ١٩٩٤ ، ص ص ٢٤٥ _ ٢٦٨
- القدس : وثائق أساسية .. وقرارات دولية ، م.س
- د. مفيد شهاب ، البعد القانونى الدولى لقضية القدس ، م.س
- ملف قضية القدس ، القاهرة : الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٨٠
- وثيقة القدس ، مرجع سابق .
- اللجنة المعنية .. ، وضع القدس ، م.س .

[150] وثائق مؤتمر مدريد ، م.س

١٩٩١/١٠/٣١ - إلى أن القدس هى حاضر ملمـوس ، بـرغم غيابها المزعوم عن مسرح المؤتمر ، واستبعادها المصطنع منه ، وقال إنها برغم كونها مدينة السلام ، فقد منعت من حضور مؤتمر السلام ، وحرمت من أداء رسالتها . وأكد على أن ضم إسـرائيل للقدس العربية سيظل غير مشروع ، فى نظر المجتمع الـدولى ، ويعد بمثابة إهانة للسلام ، الذى تستحقه هذه المدينة .

ثم عاد ليؤكد فى كلمته بجلسة الردود - ١٩٩١/١١/١ - على أن قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ ومبدأ الأرض مقابل السلام ، إنما يشكلان أساساً مرجعياً ومصدراً للسلطة القانونية لمؤتمر مدريـد والمفاوضات ، مستنداً فى ذلك إلى ما تضمنته كتب الدعوة لهـذا المؤتمر .

وانصب تأكيده فى هذه الجلسة على أن البنود الواردة فى القـرار ١٩٦٧/٢٤٢م تنطبق على (القدس الشرقية) ، وقال إن : " القدس الفلسطينية هى رمز هويتنا ، وتأكيد وجودنا على أرض وطننا " .

يذكر أن اسحاق شامير رئيس الوفد الإسرائيلى لم يشر إلى القدس ، لا فى كلمته بالجلسة الافتتاحية ، ولا فى كلمته بجلسة الردود .

وكذلك فعل الجانبان الأمريكى والسوفيتى ، فى كلماتهم بالجلسة الافتتاحية ، وجلسة الردود ، فلم يشيرا إلى القدس تحديداً ، وإن أشاروا إلى أن القرارين (٢٤٢ ، ٣٣٨) هما أساس هذه العملية السلمية ، وأن القرار ٢٤٢ تضمن مبدأ مبادلة الأرض بالسلام .

سابعا – إسرائيل تعلن فى أوسلو التزامها بإرجاء بحث قضية القدس . وبيان ذلك فيما يلى :

١ – نصت المادة (٥) من إعلان أوسلو على أن القدس تقع ضمن القضايا المتبقية لمفاوضات الوضع النهائى . كما نص الملحق الأول لهذا الإعلان – وهو بروتوكول حول صيغة الانتخابات وشروطها – فى فقرته الأولى ، على أن فلسطينى القدس ، الذين يعيشون فيها ، لهم الحق فى المشاركة فى العملية الانتخابية ، وفقاً لاتفاق بين الطرفين .

٢ – للوقوف على التزامات الجانب الإسرائيلى حيال القدس ، يمكن الرجوع – أيضاً – إلى إعلان المبادىء ، الموقع بالأحرف الأولى ، فى أوسلو فى ١٩٩٣/٨/٩ ، والرسائل المتبادلة بين

الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى – سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٣م – المتضمنة تعهدات إسرائيلية ، بشأن (القدس الشرقية) ([١٥١]) .

كذلك ، هناك التزام إسرائيلى بمجموعة من الموجبات ، تجاه مدينة القدس هى ([١٥٢]) :

– الالتزامات الصريحة المتعلقة بالقانون الدولى ، أى مقررات مجلس الأمن والجمعية العامة ، وما توجبه المعاهدات الدولية ، بخصوص حقوق سكان الإقليم المحتل ، علماً بأن إسرائيل موقعة على اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ .

– الالتزامات المتعلقة بالقانون الداخلى ، التى تحمى الحقوق الأساسية للإنسان ، خاصة حقوق جمع الشمل العائلى ، وحق الإقامة والملكية والبناء ، ويجرى الادعاء بهذه الحقوق أمام القضاء ، لنقض أى قرار أو حكم استثنائى ، يأتى بضرر لأحد السكان أو مجموعة من السكان.

---

[151] محمود عباس (أبو مازن) ، م.س ، الملاحق : ص ص ٢٤٢ ـ ٣٤٧
و: عبد الرحمن سعد ، م.س

[152] د. مهدى شحادة ، م.س ، انظر : بيير لافرانس ،القدس فى الاتفاقيات العربية الإسرائيلية ، ص ص ١٦٧ ـ ١٦٩

- الالتزامات الصريحة لدولة إسرائيل ، باحترام الوضع القائم فى الأراضى المحتلة ، وفى القدس ، خلال مختلف مراحل مفاوضات السلام ، وهو ما يعنى امتناعها عن القيام بأية تغييرات ، من شأنها أن تضر بالنتيجة النهائية للمفاوضات ، التى تكرس - لاحقاً - للبحث فى وضع هذه الأراضى .

لقد برزت هذه الالتزامات فى اتفاقيات كامب ديفيد ، وبعدها فى النص الافتتاحى لمؤتمر مدريد ، إلا أن النص الأكثر صراحة فى هذا المجال ، يتمثل فى الكتاب الذى وجهه شمعون بيريز إلى نظيره النرويجى ، على هامش اتفاقية أوسلو . وتلتزم إسرائيل فى هذا الكتاب باحترام أعمال وامتيازات المؤسسات الفلسطينية ، الموجودة فى القدس والتابعة للسلطات المجتمعة فى " بيت الشرق" ، شرط أن تكون هذه السلطات تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، حيث لم تكن السلطة الوطنية قد أنشئت بعد . وهكذا ، تكون إسرائيل قد اعترفت بوجود سلطة محلية فى القدس ، واعترفت - بالتالى - بوضع هذه المدينة كأرض محتلة . و لا يزال هذا النص سارى المفعول ، ولم تتم إعادة النظر فيه خلال المفاوضات

اللاحقة ، ولاسيما مفاوضات أوسلو ٢ فى سبتمبر ١٩٩٥ . ثم التزمت إسرائيل مجدداً - فى اتفاقية طابا - بالامتناع عن القيام بأى أعمال ، قد تؤثر سلباً على الوضع النهائى . وكذلك نجد التزامات مشابهة فى اتفاقية واى بلانتيشن - ١٩٩٨/١٠/٢٣ - متعلقة بالضفة الغربية وغزة .

يذكر أن إسرائيل تتهرب من هذه الالتزامات - الموقعة - مدعية أنها " جائرة وناتجة عن ضغط دولى ، وعن قوانين تجهل رسالة المدينة المقدسة ، التى لا يمكن إلا أن تكون عاصمة أبدية لإسرائيل " !

٣ - إن اتفاقية أوسلو (سبتمبر ١٩٩٣) إذ تقرر أن قضية القدس مؤجلة إلى مرحلة لاحقة من التفاوض ، فإن هذا يعنى من - وجهة نظر القانون الدولى - أن هناك تعهداً من إسرائيل يُنتج (أثراً مانعاً) نحو إسرائيل ، أن تقوم بأى إجراء منفرد ، من لحظة توقيع ذلك الاتفاق . ويطلق على هذا الأثر فى القانون " الأثر الواقف " أى أن هناك فترة لتجميد وضع القدس ، على ما كانت عليه من لحظة توقيع الاتفاق ، حتى الانتهاء إلى الوضع النهائى ،

الذى يتفق عليه من خلال المفاوضات . إذن ، فأى تغيير فى الوضع القائم لحظة توقيع الاتفاق (أوسلو) ، فضلاً عن مخالفته لقرارات الشرعية الدولية ، يعتبر مخالفاً – أيضاً – لالتزام إسرائيل نفسها ، وفق اتفاق أوسلو .

كذلك يستفاد من متابعة قرارات الأمم المتحدة – مجلس الأمن والجمعية العامة – بشأن قضية القدس ، فى الفترة من ١٩٦٧ حتى منتصف التسعينيات ، أن الأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغييرات الإقليمية ، الناجمة عن العدوان الإسرائيلى ، وتقرر بطلان التصرفات التى اتخذتها إسرائيل ، فى ظل احتلالها للأراضى العربية ، فإنها – الأمم المتحدة – تعتنق نظرية بطلان التصرفات ، التى تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولى ، وتسعى الأمم المتحدة إلى تأكيد "مبدأ الشرعية " القائم على فكرة سيادة القانون الدولى ، لكى يحل محل مبدأ آخر هو " مبدأ الفاعلية " القائم على أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة . والفقه والقضاء الدوليان ، يلتزمان بعدم الاعتراف بأى أوضاع إقليمية غير

مشروعة ، استناداً إلى مبدأ مسلم به فى القانون ، وهو أن " الخطأ لا يولد الحق " ([١٥٣]) .

يُذكر أن القرار ١٩٦٧/٢٤٢ – الذى يعد عماد اتفاق أوسلو – ينص على عدم جواز احتلال الأرض بالقوة ، وعليه فإن ترك موضوع القدس ، إلى مفاوضات الوضع النهائى ، لا يعنى بحال من الأحوال أنها أرض متنازع عليها ،بل هى أرض محتلة ([١٥٤]) .

كذلك يجب إدراك أن تخوف البعض ، مما ورد فى المادة الأولى من إعلان المبادىء الفلسطينى الإسرائيلى ، التى تنص على أن القرار ٢٤٢ يعد أساس التسوية السياسية ، هو تخوف فى غير محله ، فإذا كان هذا القرار قد انصب على ضرورة انسحاب إسرائيل ، من الأراضى (*) التى احتلتها فى عدوان ١٩٦٧ ، فإنه لم ينص على أحقية إسرائيل ، فيما سبق أن احتلته من قبل ، فى عدوان ١٩٤٨ – ١٩٤٩ .

---

[153] راجع : فى مضمون هذه الفقرة وسابقتها :
- د. مفيد شهاب ، القانون الدولى وقضية القدس ، م.س
- د. جعفر عبد السلام ، المركز القانونى الدولى لمدينة القدس ، م.س ، ص٨٢
- د. أحمد محمد رفعت ، الوضع القانونى لمدينة القدس ، م.س

[154] محمود كريم (سفير) ، القدس : العاصمة .. ، م.س

* فى تناول جديد – منطقى وثائقى سياسى – للقرار ١٩٦٧/٢٤٢ تم تفنيد الالتباس الشهير المتعمد ، الخاص بكلمة (الأراضى / أراض) فى : عبد التواب مصطفى ، نقض شريعة الهيكل ، م.س ، ص ص ١٦٢ - ١٦٥

٤ – إذا اعتبرنا إعلان المبادىء – اتفاق أوسلو – اتفاقية ثنائية دولية ، تم التوصل إليها بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى ، برغبة حرة ، وبدون إكراه أحدهما على دخولها ، فإنها تكون خاضعة للمبادىء والمعايير الدولية ، المنصوص عليها فى معاهدة فيينا ، بشأن أحكام الاتفاقيات لسنة ١٩٦٩ . ومن هذه المبادىء مبدأ تنفيذ الالتزامات ، من قبل طرفى الاتفاق ، بحسن نية – with good faith – الذى نصت عليه المادة (٢٦) من المعاهدة المذكورة . يضاف إلى ذلك المبدأ المنصوص عليه فى المادة (٤٧) من اتفاقية جنيف الرابعة ، بشأن حماية المدنيين ، فى زمن الحرب لسنة ١٩٤٩م ، والذى يحظر سلب سكان الإقليم المحتل فى أى من الأحوال ، أى حق من الحقوق الى تنص عليها المعاهدة ، حتى لو كان هذا المس بالحقوق ، نتيجة اتفاق بين السلطة الممثلة للسكان المحليين (منظمة التحرير الفلسطينية) وبين المحتل (حكومة إسرائيل) . وفى عودة إلى الممارسات الإسرائيلية فى القدس ، منذ

توقيع اتفاقية أوسلو – إعلان المبادىء- نجد أن إسرائيل قد أخلت بمبدأ حسن النية (١٥٥) .

٥ – إذا كانت المادة ٤/٢ من ميثاق الأمم المتحدة ، تؤكد على أن يمتنع أعضاء هذه الهيئة الدولية جميعاً ، فى علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة ، أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى ، فبناء عليه ، لو أن دولة ما انتهكت حكم المادة المذكورة (٤/٢) ، فإن كافة الدول تلتزم بأن تتخذ من التدابير الجماعية ، ما يحول دون المساس بالسيادة الإقليمية للدولة المعنية ، وأن تقمع العدوان الواقع عليها ، وهذا الالتزام " الإيجابى " على كل دول العالم ، يفترض – بداهة – أن يقترن بالتزام " سلبى " مفاده " عدم الاعتراف ، بأى تصرف يأتى مخالفاً للمادة المذكورة ، ولا بأى أثر من الآثار الناجمة عنه " (١٥٦) .

فى أول ديسمبر ١٩٩٦ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة مجموعة قرارات ، بشأن القضية الفلسطينية ، كان أهم ما أكدته (١٥٧) :

---

[155] أسامة حلبى ، مسألة القدس فى ضوء الاتفاقيات الفلسطينية الإسرائيلية ، شئون عربية (القاهرة) ، صيف ١٩٩٧م ، ص ص ١١١ - ١١٢

[156] د. مفيد شهاب ، البعد القانونى الدولى لقضية القدس ، م.س

[157] محمد الصواف ، م.س

- أن فرض السيادة الإسرائيلية على القدس ، عمل غير شرعى ، يخالف المعاهدات ، وكذا المواثيق الدولية كافة . وأن الإجـراءات الإسرائيلية التى تستهدف تغيير مركز القدس ، غير شرعية .
- ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م .
- التأييد الكامل لعملية السلام الجارية ، التى بـدأت فـى مدريـد ١٩٩١،وإعلان المبادىء (١٩٩٣) وكذا اتفاقيات التنفيذ اللاحقة .
عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة استثنائية طارئـة فـى ١٩٩٧/٤/٢٤ تحت صيغة " الاتحاد من أجل السلم " بنـاء علـى طلب ٢٩ دولة ، لتدارس الأوضـاع فـى الأراضـى الفلسـطينية المحتلة ، فى أعقاب شروع إسرائيل فى بناء مستوطنة جديدة فى (القدس الشرقية) وأصدرت قراراً تحت الصيغة المذكورة ، بشـأن القضية الفلسطينية ، مؤكداً أن شرق القدس أرض محتلة ، مديناً كافة سياسات الاستيطان ، التـى اتبعتهـا إسـرائيل فـى الأرض

المحتلة منذ ١٩٦٧ ، ومطالباً بالوقف الفورى لإنشاء مستوطنة جديدة فى جبل أبو غنيم [١٥٨] .

واصلت الأمم المتحدة تأكيد موقفها إزاء قضية القدس ، حتى بعد فشل مفاوضات كامب ديفيد(٢) من خلال تأكيد ما صدر عن الجمعية العامة أو مجلس الأمن ، من قرارات من قبل ، وأهمها القرار الرئاسى الذى أصدره المجلس المذكور فى ١٩٩٨/٧/١٤ مطالباً فيه إسرائيل ، بالتراجع عن قرارها بتوسيع حدود بلدية القدس ، مؤكداً على ضرورة عدم استباق مفاوضات الوضع النهائى الخاص بالمدينة [١٥٩] .

ثم فى ٢٠٠٠/١٢/١ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأكثرية ساحقة ، ستة قرارات تدعم الحقوق الفلسطينية ، وتدين الممارسات الإسرائيلية بالأراضى المحتلة ، كان أهمها ذلك القرار الذى اعتبر ضم (القدس الشرقية) من جانب إسرائيل باطلاً ، وكأنه لم يكن . ودعا القرار جميع الدول التى نقلت سفاراتها إلى القدس ، إلى التراجع عن ذلك . وأعربت الجمعية - أيضاً - عن أسفها ،

---

[158] د. مفيد شهاب ، المرجع السابق

[159] محمد الصواف ، م.س

لقيام بعض الدول بنقل بعثاتها الدبلوماسية إلى القدس ، منتهكة بذلك قرار مجلس الأمن ١٩٨٠/٤٧٨ ([١٦٠]) .

لا تزال الإصدارات الرسمية لهيئة الأمم المتحدة ، تقرر أن إسرائيل احتلت القطاع الغربى لمنطقة القدس ، إبان حرب ١٩٤٨ ، وأن إسرائيل بعد أن رفضت قرار الجمعية العامة ، المؤكد لمبدأ التدويل رقم ١٩٤ (د-٣) فى ١٩٤٨/١٢/١ ، لجأت إلى توسيع ولايتها، لتشمل ذلك الجزء من القدس،الذى قامت باحتلاله ([١٦١]) .

فى ٢٠٠٤/٥/٧ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة – بأغلبية ١٤٠ صوتاً – قراراً تؤكد فيه- مجدداً – الوضع القانونى للأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية،وحق الشعب الفلسطينى فى السيادة عليها،بعد انتهاء وضع الاحتلال([١٦٢]) .

ثم بعد أسبوع واحد ، من صدور قرار محكمة العدل الدولية فى ٢٠٠٤/٧/٩ بعدم شرعية بناء الجدار العازل ، فى الأراضى

---

[160] الأهرام (القاهرة) ٢٠٠٠/١٢/٣

و: the question of Palestine & the united nation , new york, united nations department of public information narch – 2003 , p.98

[161] Op cit. p: 94

[162] الجمهورية (القاهرة) ، ٢٠٠٤/٥/٨

الفسطينية المحتلة ، أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة - فى قرار لها - حكم محكمة العدل الدولية ،مطالبة إسرائيل بإزالة ذلك الجدار .
لقد أسهمت الأمم المتحدة - إلى حد كبير - فى خلق قضية القدس ، منذ أصدرت جمعيتها العامة توصيتها رقم ١٩٤٧/١٨١ ، بتقسيم فلسطين وتدويل القدس ، إذ بدلاً من أن تؤكد الجمعية العامة على حق الفلسطينيين الأصيل فى المدينة المقدسة ، قررت تدويلها ، بدعوى أن هذا يحفظ حقوق كافة الأطراف المتصارعة عليها ، غير أن الجمعية العامة ذاتها ، هى التى أصدرت - لاحقاً - عدداً كبيراً من القرارات ، التى تؤكد الوضعية الخاصة لهذه المدينة ، وعلى كونها أرضاً محتلة ، لا تنتقل السيادة عليها - بحال - إلى الدولة القائمة بالاحتلال ، وباعتبار أنها أرض محتلة تبقى السيادة عليها لدولة الأصل ، أو تبقى كامنة - وفقاً لقانون الاحتلال الحربى - فى شعب الإقليم المحتل ، ثم سار مجلس الأمن فى الاتجاه ذاته ، الذى سارت فيه الجمعية العامة (١٦٣) .

[163] د. محمد شوقى عبد العال ، المجتمع الدولى وقضية القدس ، الجيزة ، جامعة القاهرة - مركز البحوث والدراسات السياسية ، سلسلة بحوث سياسية (١٤٢) ، ديسمبر ٢٠٠٢ ، صفحات : ٢ ، ١٠ - ١٢ .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار حقيقة أن الغالبية العظمى من القرارات ، التى أصدرتها الامم المتحدة بشأن قضية القدس ، قد صدرت إما بإجماع الآراء أو بأغلبية كبيرة ، أمكننا أن نؤكد علـــى الموقــف المتميز ، التى وقفته المنظمة الدولية ، من قضية شائكة وبالغـــة التعقيد ، كقضية القدس ، وأن نساير ما انتهى إليه جانب مهم من الفقه الدولى ، من القول بأن هذه القرارات ، إنما تمثـــل قانونـــاً دولياً عرفياً واجب الاحترام والتطبيق ، لاسيما وأن هذه القرارات – على الرغم من صدور الكثير منها فى شــكل توصــيات تفتقــد بذاتها إلى القوى القانونية الملزمة – تكتسب حجية قانونية كبيرة ، نابعة من استنادها بالأساس إلى قواعد قانونيـــة دوليـــة ، ذات طبيعة آمرة (jus cogens) ، كقاعدة حظر اكتساب الإقليم عـــن طريق استخدام القوة ، أو التهديد باستخدامها ، والقاعـــدة التـــى تجعل من الاحتلال الحربى وضعاً مؤقتاً ، لا يخول سلطة الاحتلال نقل السيادة على الإقليم المحتل ، بأى إجراء من إجراءات التوسع أو الضم (١٦٤) .

---

[164] المرجع السابق ، صد ١ .

المبحث الخامس

مفهوم الصراع الإسلامى / الصهيونى

أولاً - مستويات التعبير المفاهيمى عن الصراع حول القدس :

نظراً لتعدد أطراف المشكلة الفلسطينية – وفى مركزها مشكلة القدس – وكذلك ، نظرا لتعدد مستويات تحليلها : وطنياً (فلسطينياً) وقومياً (عربياً) وعقائدياً (إسلامياً) ، وجيوبولوتيكياً ، وتاريخياً ، فقد تعددت مداخل دراسة هذه المشكلة ، وبالتالى تعددت مستويات التعبير عنها ، مفاهيمياً .

أول المستويات التحليلية لهذه المشكلة ، وأشدها تركيباً وتعقيداً ، يميل إلى العمومية ، فيعتبر هذه المشكلة (صراعاً بين الشرق والغرب) يجرى على أرض فلسطين ، لاعتبارات عدة ، ترتبط بهذه الأرض ، مأخوذاً فى الاعتبار – أيضاً – عمومية مفهومى (الشرق والغرب) جغرافياً وتاريخياً وعقائدياً وحضارياً (١٦٥) .

---

[165] للمزيد ، راجع – على سبيل المثال : محمد على الغتيت ، الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس القاهرة ، مج ٦٧، د.ت

على الجانب الآخر ، فإن أشد هذه المستويات تركيزاً ، وأضيقها دلالة ، يعتبر المشكلة الفلسطينية (صراعاً فلسطينياً / إسرائيلياً) ، إذ فى أضيق الحدود وأشدها تقليدية ، تعتبر هذه المشكلة صراعاً بين شعبين ، تمكن أحدهما من إقامة دولته ، على جزء من أرض فلسطين – احتلالاً واستيطاناً – والشعب الآخر فى طريقه لتحقيق إنجاز مماثل ، على ما تبقى من الأرض (١٦٦) .

بين هذين المستويين : المستوى الأشد تعميماً ، ممثلاً فى (مفهوم الصراع بين الشرق والغرب) ، والمستوى الأشد تركيزاً ، ممثلاً فى (مفهوم الصراع الفلسطينى / الإسرائيلى) ، هناك مستويات مفاهيمية أخرى هى :

١ – مفهوم الصراع العربى / الإسرائيلى (١٦٧) .

---

[166] للمزيد راجع :
- أحمد رسلان ، الصراع الفلسطينى / الإسرائيلى ، رؤية مستقبلية ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، سلسلة كراسات استراتيجية ، عدد ١١٢ ، ٢٠٢ .
و: بنيامين عمرى ، إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية ، ترجمة ونشر الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، سلسلة كتب مترجمة (٧٦٥) ، د.ت

[167] راجع :
- على الجوهرى (إعداد) ، فى الصراع العربى / الإسرائيلى ، القاهرة ، مكتبة الزهراء ١٩٩٣
- أضواء على الصراع العربى / الإسرائيلى ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، د.ت
- د. عبد الحليم هريدى ، الصراع العربى / الإسرائيلى ، ط١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٤
- يهوشافاط حراكابى ، الاستراتيجيات العربية وردود الفعل الإسرائيلية ، ترجمة أحمد الشهابى ، بيروت ، دار القدس ، د.ت

٢ – مفهوم الصراع العربى / اليهودى [١٦٨]

٣ – مفهوم الصراع الإسلامى / اليهودى [١٦٩]

٤ – مفهوم الصراع العربى / الغربـــى (الامبريـــالى الصـــهيونى) [١٧٠]

٥ – مفهوم الصراع (العربى / الإسلامى) اليهودى [١٧١]

٦ – مفهوم الصراع العربى / الصهيونى [١٧٢] .

لا يخلو أى من هذه المجموعة المفاهيمية ، من خلل أو قصـــور ، ولا ترى هذه الدراسة فى أى منها ، المفهوم الأنسب أو الأمثـــل ، لتحليل المشكلة الفلسطينية ، وفى القلب منها مشكلة القدس ؛ لما يترتب على هذا أو ذاك – من أوجه الخلل والقصور – من نتـــائج

- ضياء رشوان ، عودة الصراع عربياً – إسرائيليا ، الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٢/٤/٨

[168] راجع ، الأرقم الزعبى ، الغزو اليهودى للمياه العربية ، ط١ ، بيروت ، دار النفائس ١٩٩٢

- د. محمد محمود أبو غدير ، الخيار النووى الإسرائيلى ومفهوم الصراع فى التراث اليهودى ، م.س

- المسيرى ، موسوعة المفاهيم ، مرجع سابق ، ص٢٤١

[169] راجع – على سبيل المثال - :

- سيد قطب ، معركتنا مع اليهود ، ط١ ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٠

[170] راجع د. عونى عبد المحسن فرسخ ، مخطط التفتيت ، التحدى الامبريالى الصهيونى المعاصر ، ط١ ، القاهرة ، دار المستقبل العربى، ١٩٨٥ ،ص٦١

- المسيرى ، مرجع سابق ، ص٢٤١

[171] د. بهاء الأمير ، معركتنا مع اليهود ، نموذج قديم وأحداث جديدة ، المنار الجديد ، القاهرة يوليو ٢٠٠١ ، ص ص ٥٤-٦٨

[172] الأدبيات التى استخدمت هذا المفهوم من الكثرة بحيث لا تحصى ، حتى امتد إلى المجال الفنى ، متجاوزا المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية – راجع – مثلا : سمير فريد ، الصراع العربى / الصهيونى ، ط١ ، القاهرة ، دار سعاد الصباح ١٩٩٢

سيئة ، تضعف الموقف (الفلسطينى / العربى / الإسلامى) ، فى قضية القدس ، أو تفقد هذا الموقف بعض عناصر قوته ، وفى الوقت نفسه ، لا تعبر عن كل مكونات أو عناصر الطرف الآخر فى الصراع ، أي (الحركة الصهيونية) .

وبيان ذلك فى النقاط التالية :

١ – إن مفهوم (الصراع بين الغرب والشرق) فيه من العمومية والتركيب والتعقيد ، ما يكفى لاستبعاده ؛ درءاً للتشتيت المترتب على استخدامه فى تحليل المشكلة .

٢– يختزل مفهوم (الصراع الفلسطينى / الإسرائيلى) أبعاداً وأعماقاً أخرى – فى الصراع إزاء فلسطين والقدس – تعد من المكونات الأساسية ، لموقفى طرفى هذا المفهوم (أى الموقف الفلسطينى ، والموقف الإسرائيلى) ؛ إذ ليس الفلسطينيون – وحدهم – المسئولين تجاه القدس ، أو تجاه فلسطين ، بل يشاركهم هذه المسئولية ، العرب والمسلمون . وكذلك ، فإن هذا المفهوم يغفل عن أن وراء إسرائيل تحالفاً ضخماً ، ممثلاً فى

الحركة الصهيونية العالمية ، والحركة الاستعمارية الغربية ، يشاركها مشاركة تامة موقفها فى الصراع .

بل إن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ، فلا يكتفى بأن يسقط عن الفلسطينيين الحزامين ، أو الجدارين أو البعدين أو العمقين (العربى والإسلامى) ، بل يجعل الفلسطينيين - وحدهم - طرفاً فى مواجهة الحركة الصهيونية على إطلاقها ، وليس إسرائيل فحسب ([١٧٣]) ، منشئاً - بذلك - مستوى تحليلياً جديداً .

٣ - يقف مفهوم (الصراع العربى / الإسرائيلى) بالطرف الأول فى هذا الصراع ، أي (العرب) عند بعده القومى فحسب ، مسقطاً عنه أهم مرجعية عقائدية يستند إليها ، وتكفل له دعم العالم الإسلامى ، إضافة إلى أن موقف العالم الإسلامى فى هذا الصراع ، لا تمليه العقيدة فحسب ، بل أصبح مصوغاً فى التزام قانونى ، على دول هذا العالم الاسلامى ، كما تقرر فى ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامى . كذلك فإن هناك معايير أخرى ، تتعلق بالأمن القومى

---

[173] للمزيد راجع :

- يوسف صايغ ، البعد الاقتصادى للصراع الصهيونى / الإسرائيلى - الفلسطينى ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت) ، خريف ١٩٩٨ ، ص ص ٦٤ - ٩٤

للنظام الإقليمى الإسلامى ، تؤكد موقف هذا العالم الإسلامى ، إزاء فلسطين والقدس ، مركز هذا العالم .

٤ – يأتى مفهوم (الصراع العربى / اليهودى) مرادفاً للمفهوم السابق ، باعتبار المعنى القومى لليهودية ، أى استناداً إلى ما يزعمه اليهود من نقاء جنسهم ، أو أنه لم يعتنق اليهودية غير بنى إسرائيل (من طريقى النسب أماً وأباً) .

أى إن هذا المفهوم ، يقف عند حد الصراع القومى ، بين بنى إسماعيل وبنى إسرائيل ، غافلاً عن أن القومية العربية أو الشعب العربى ، أصبح جزءاً من أمة أكبر ، هى الأمة الإسلامية أو العالم الإسلامى ، الذى يدعم ، بل يتبنى الموقف العربى تجاه (قضية فلسطين والقدس) تحديداً .

كذلك ، يغفل هذا المفهوم عن أن القطاع الكبير من القومية اليهودية أو الشعب اليهودى – وهم الصهاينة ، الذين ينازعون الشعب العربى ، فى فلسطين والقدس ، ليسوا وحدهم ، بل إنهم تحالفوا واستنصروا ، فى هذا الصراع ، بالحركة الاستعمارية الغربية ، لما لها من أهداف ، فى الأرض ذاتها .

٥ – إن مفهوم (الصراع الإسلامى / اليهـودى) يـوحى – لمـا يتضمنه من المقابلة بين الإسلام واليهودية – بأن الصراع بشـأن مشكلة فلسطين والقدس هو صراع أديان ، وهذا أمر مستبعد فـى الواقع ، وإن استند كل من طرفيه – فى جملة ما يستند إليـه – إلى حجج دينية .

ليس الصراع بشأن فلسطين والقدس دينياً ؛ لسببين :

أولهما : يتعلق بطبيعة موضوع هذا الصراع ، إذ إنه ينصب على قضايا (عينية) وليست قضايا (غيبية) ، فالقضـايا الغيبيـة هـى السمة الغالبة ، فى صراعات الأديان .

ثانيهما : يتعلق بطبيعة طرفى هذا الصراع ، فإذا كان طرفه الأول هم المسلمين جميعاً ، الذين يعتقدون بحقهم – ممثلين فى الشعب الفلسطينى – فى أرض فلسطين والقدس ، والسيادة عليها (شـعباً وأرضاً ومقدسات) ، فإن الطرف الثانى لا يشمل اليهود جميعاً ، بل الصهاينة فحسب ، الذين اغتصبوا هذه الأرض ، واستنصروا فـى اغتصابها بـآخرين ، غيـر اليهـود . وعليـه ، فالمسـلمون لا

يتصارعون – بشأن فلسطين والقدس – مع اليهود ، وإنما يتصارعون مع من اغتصبوا أرضهم ، أى الصهاينة وحلفائهم .

٦ – يقف مفهوم الصراع العربى / الغربى (الإمبرالى الصهيونى) ، بالطرف الأول فى الصراع ، أي (العرب) ، عند بعده القومى فحسب ، كما سبقت الإشارة فى ثالثاً ، بينما يذهب بطرفه الثانى ، إلى دائرة (الغرب) كله ، فى حين أن الغرب كله ، ليس طرفاً فى هذا الصراع . وعند التزام هذا المفهوم للدقة ، فيما يقصد بالغرب – كطرف فى الصراع – يكون بحاجة إلى صفة لازمة ملحقة ، توضح أن الغرب المعنى هنا هو (الامبريالى / الصهيونى) .

٧ – يأتى مفهوم الصراع (العربى الإسلامى) / (اليهودى) ، مقبولاً فى شقه الأول فحسب (العربى / الإسلامى) ، باعتبار أن الموقف الإسلامى يستوعب الموقف العربى ، أو هما – معا – متفقان ، بصدد قضية فلسطين والقدس .

أما فى شقه الثانى (اليهودى) فهو غير صحيح ، لما سبق بيانه ، سواء على المعنى الدينى لـ(اليهودى) ، إذ ليس (العرب والمسلمون) فى صراع مع (اليهودية) ، أم على المعنى القومى

لـ(اليهودى) ، إذ ليس (العرب والمسلمون) فى صراع مع اليهود ، بل مع الصهاينة من اليهود ، فحسب .

٨ – يقترب مفهوم (الصراع العربى / الصهيونى) من درجة الصحة المناسبة لطبيعة هذا الصراع – مشكلة فلسطين والقدس – والمأخذ الوحيد عليه ، هو وقوفه عند حد البعد القومى (العربى) ، للطرف الأول فى الصراع ، أما بالنسبة للطرف الثانى ، فإن أدق ما يعبر به عنه ، هو لفظ أو صفة (الصهيونى) ، كما سيتضح فى السطور التالية .

ثانياً - مدى صحة صياغة مفهوم (الصراع الإسلامى / الصهيونى) :

تتبنى هذه الدراسة مفهوم الصراع الإسلامى / الصهيونى ، وتراه ؛ لأسباب – ذكر بعضها فى النقاط الثمانية السابقة – الأنسب ، لتحليل الصراع حول فلسطين والقدس ، ولوصف الصراع بين المتغيرين الأساسيين فى هذه الدراسة ، وهما : العالم الإسلامى ، من جهة ، والتحدى الصهيونى ، القائم على أرض فلسطين ، ومدينة القدس - تحديداً – من جهة أخرى .

(القدس) مدينة إسلامية ، منذ ألف وأربعمائة عام ، ويزيد .
تمكنت الحركة الصهيونية العالمية – بجهودها وجهود الحركة الاستعمارية الغربية المتحالفة معها – من اغتصاب هذه المدينة ، وانتزاعها ، بالاستيطان والاحتلال والتهويد . وبجملة هذه الممارسات – التى تواصلت طيلة القرن الماضى – خلقت الحركة الصهيونية واقعاً صهيونياً جديداً فى المدينة ، واقعاً عارضاً عليها ، ومخالفاً للواقع الإسلامى لهذه المدينة ، والذى كان شأنها الملازم طيلة عمرها المديد ، برغم كل ما تعرضت له من غزوات ، قبل الغزوة الصهيونية الأخيرة . وقد أصبح لزاماً على العالم الإسلامى ، مواجهة هذه الغزوة الصهيونية .
يشير المكون الأول – الإسلامى – فى مفهوم (الصراع الإسلامى / الصهيونى) إلى كل جهد أو إجراء (دفاعى أو وقائى) ، يحفظ هوية القدس (فلسطينية / عربية / إسلامية) ، ويحقق تحريرها (شعباً وأرضاً ومقدسات) ، سواء قامت بهذا الجهد جهات فلسطينية أم عربية ، أم أى جهات أخرى ، تنتمى إلى العالم الإسلامى ، وسواء كانت هذه الجهود شعبية أم حكومية .

هذا هو الإطار التجريدى ، لما تعتبره هذه الدراسة جهداً إسلامياً ، باعتبار أن صفة (جهد إسلامى) لا يمكن إسقاطها عن الجهود العربية ، التى تبذل فى اتجاه قضية القدس ، وإن ظلت للجهود العربية صفتها القومية ، المتفرعة عن أو الآتية ضمن جهود العالم الإسلامى ، والحكم نفسه ينسحب على كل جهد فلسطينى ، فى الاتجاه ذاته ، وإن ظلت له صفته الوطنية .

إذن فموقف الطرف الأول فى الصراع ، موضوع الدراسة ، تتحمله أو تعبر عنه – بحسب الإطار الأوسع والأشمل والأدق – الأمة الإسلامية أو العالم الإسلامى ، للاعتبارات العقائدية / القانونية / السياسية ، سالفة الذكر ، ويعتبر الإطار الإسلامى هو السقف الأعلى للطرف الأول فى هذا الصراع ، الأمر الذى يعنى أن الدعم الإسلامى لقضية القدس ، يجب ألا يستدر على سبيل الدعم (الطوعى) ، بل يجب أن يطالب به ، فى إطار الالتزام المتبادل بين شعوب العالم الإسلامى ، وحكومات هذا العالم ، هذا الالتزام القائم على مرتكزات (عقائدية / قانونية / سياسية) .

وإذ يعد من الخطأ القول بأن الصــراع بشــأن القــدس (صــراع فلسطينى / صهيونى) وكذا القول بأنه صراع (عربى / صهيونى) ، وذلك فى ضوء كل ما سبق ذكره ، من بــدء هــذا المطلــب ، فالصواب هو القول بأنه (صراع إسلامى / صهيونى) .

والصواب - أيضاً - القول بأن هناك جهوداً فلسطينية ، تعد اللبنة الأولى لجملــة جهــود الطــرف (العــالم) الإســلامى ، باعتبــار الفلسطينيين طليعة العالم الإسلامى (فى موقع المواجهــة) ، مــع الحركة الصهيونية العالمية ، وعليهم - شرعاً - عبء المواجهة بداية ، وعليهم الجهاد فرض عين ، وعلى أشــقائهم مــن بقيــة شعوب العالم الإسلامى ، يكون الجهاد فرض كفايــة ، وباتســاع دائرة الموجهة ، تنتقل فرضية الجهاد (فرض عين) تباعاً ، فتلزم - تاليا - من هم على (مسافة القصر) مــن الفلســطينيين ، أى (دول الطوق) ، فبقية الدول العربية ، فتتصاعد بذلك جهودهــا أو التزاماتها ، وتظل تتسع دائرة فرضية الجهاد فرض عين ، علــى ما بقى من شعوب العالم الإسلامى ، باتساع دائرة خطر الحركــة

الصهيونية العالمية ، حتى تشـمل - يومـاً - كـل دول العـالم الإسلامى ، شعوباً وحكومات .

هذا من حيث إثبات صحة إطلاق وصف (إسـلامى) فـى مفهـوم (الصراع الإسلامى الصهيونى).

يشير المكون الثانى - الصهيونى - فى مفهوم (الصراع الإسلامى / الصهيونى) إلى التحدى أو الواقع الصهيونى ، القائم فى مدينـة القدس ، وإلى من هم وراء هذا التحدى ،أو من صنعوا هذا الواقع ، ولايزالون يعززونه أو يكرسونه،ويبسطون عليه حمايتهم .

خلقت هذا الواقع ، علـى أرض القـدس ، الحركـة الصـهيونية العالمية ، التى أخذت على عاتقها ما يلى :

١ - أن تحشد كافة جهود وطاقات وامكانيات اليهود فـى العـالم (الغالبية الصهيونية منهم) وراء هدف إقامة وطن قومى ، ثم دولة لليهود فى فلسطين ، تكون نواتها صهيون (القدس) .

٢ - أن تسخر قسطاً وافراً من جهود الحركة الاستعمارية الغربية ، فى اتجاه تحقيق ما يتوافق من أهداف الحركة الصهيونية ، مع أهداف الحركة الاستعمارية الغربية ، فى فلسطين والقدس .

٣ – أن تستقطب وتوجه كل جهود وإمكانيات الجماعات الصهيونية البروتستانتية فى الغرب ، لتكريس وتعزيز الوجود الصهيوني فى القدس .

٤ – توظيف واستثمار جهود من (تهود) أو (تصهين) من جماعات – مثل الخزر والدونمة والفلاشا – لتدعيم جهود الحركة الصهيونية ، لاغتصاب فلسطين والقدس تحديداً .

٥ – تجنيد منظومة عمل متكاملة ، تتستر بالأنشطة الاجتماعية والثقافية ، وتتمثل فى شبكات المحافل الماسونية وأندية الروتارى والليونز ، والجماعات البابية والبهائية والقاديانية ، لتعمل – على أرض فلسطين وخارجها – فى اتجاه تعزيز الوجود الصهيونى بها ، وبالقدس تحديداً ، ولتضعف من مقاومة المؤسسات الإسلامية ، فى فلسطين وخارجها الساعية لإنهاء هذا الوجود .

إذن ، كل إجراء (إستيطانى أو احتلالى أو تهويدى) يتم – فى القدس – من خلال أى من القنوات ، أو الكيفيات الخمسة سابقة الذكر ، يصح أن يوصف بأنه نشاط صهيونى ، باعتباره : إما صادراً عن إحدى مؤسسات أو أجهزة الحركة الصهيونية العالمية مباشرة ، أو بتأييد منها

، أو بتنسيق معها . وسواء أكان ذلك قبل ظهور دولة إسرائيل – أكبر مؤسسات هذه الحركة – أم بعد ظهورها .

يتضح مما سبق – أيضاً – أن تعبير (إسلامى) يستوعب تعبير (عربى) ، فهما (كل يستوعب جزءا) وليسا طرفين متحالفين ، كما توحى بعض الأدبيات (*) . كذلك فإن تعبير (الصهيونى) يستوعب ما تسخره أو تستغله الحركة الصهيونية العالمية ، من جهود الحركة الاستعمارية الغربية ، تجاه فلسطين والقدس ، وهاتان الحركتان ، وإن كانتا متحالفتين ، فإنه – فى الغالب – لا يجاهر بالعداء ، ولا يدخل فى صراع معلن ، مع الطرف الإسلامى – بشأن القدس – إلا الحركة الصهيونية العالمية ، وأجهزتها . ولذا كان الاقتصار على وصف (الصهيونى) للطرف الثانى فى الصراع.

ثالثاً - التعريفات الإجرائية المعبرة عن مفهوم الصراع الإسلامى / الصهيونى :

يشير مفهوم (الصراع الإسلامى / الصهيونى) إلى حالة من تضاد المواقف ، العقائدية والسياسية (دبلوماسياً – اقتصادياً – إعلامياً

* راجع – مثلا - : د. أحمد صدقى الدجانى (تقديم) ، رسائل المؤتمر القومى الإسلامى (١٩٩٤ ـ ١٩٩٧) ط١ ، القاهرة ، مركز يافا للدراسات والأبحاث ، ١٩٩٧

– عسكرياً – قانونياً) بين طرفى الصراع ، وكيف ترجم كل منهما موقفه ، إلى إجراءات عملية .

وبينما يتبنى الطرف الإسلامى موقفاً عقائدياً / سياسياً ، يتمثل فى ضرورة تحرير واستعادة القدس ، وحماية المقدسات الإسلامية بها ، نجد – على الجانب الآخر – موقف الحركة الصهيونية – ممثلة فى دولة إسرائيل – يصر على جملة من الدعاوى التاريخية والعقائدية والسياسية ، يبنى عليها (حقاً) له فى المدينة ذاتها .

تترجم الحركة الصهيونية / الإسرائيلية موقفها إلى إجراءات وسياسيات ميدانية ، تخلق أمراً واقعاً فى القدس يصعب تفكيكه ، وتسعى – فى الوقت نفسه – إلى ترويج دعاواها ، دبلوماسياً ودعائياً .

ويمكن التعبير عن الموقف الصهيونى ، بمجموعة من التعريفات الإجرائية التالية :

– تحركات دبلوماسية / دعائية (مكثفة) تروج للموقف الصهيونى.

– إجراءات وعمليات واعتداءات ميدانية ، تحكم قبضة قوات الاحتلال على المدينة .

- التنكر لمقررات الشرعية الدولية بشأن القدس ، وعدم الالتـــزام بها .

- خلق تحالفات استراتيجية (دينية / سياسية) تستقوى بها يومـــاً بعد يوم .

على الجانب الآخر ، لم يترجم الطـــرف الإســـلامى موقفـــه إلـــى إجراءات وسياسات ميدانية ، ووقف عند حد إصـــدار القـــرارات والتوصيات ، ونادراً ما كانت له جهود أو تحركات ، يمكن رصدها ميدانياً .

ويمكن التعبير عن موقف العالم الإسلامى ، تجاه قضية القـــدس ، بمجموعة من التعريفات الإجرائية التالية :

- تحركات دبلوماسية / إعلامية (هزيلة) دفاعاً عن موقفها المعلن

- قرارات شجب وإدانة ، وتوصيات إنشائية ، وتحركات ميدانيـــة (هزيلة) .

- جهود قانونية فى المحافل الدولية ، بشأن قضـــية القـــدس لـــم تسفر عن جديد ، غير ما قررته تلك المحافل بشأن القضية ذاتها .

- غياب الإرادة السياسية ، لدى حكـام دول العـالم الإسـلامى ، وتعطيل قيمة التضامن الإسلامى ، الأمر الذى ترتب عليه تكريس تفكك العلاقات البينية ، داخل النظام الإقليمى الإسلامى ، وتجـذر حدة النزاعات الإقليمية ،وعدم القدرة على تسويق عناصر قوة هذا النظام ، والفشل فى خلق تحالفات دولية ، يمكن الاستقواء بها.

رابعاً - أبعاد الخطر الصهيونى :

فى ضوء ما سبق عرضه فى النقطتـين ، أولاً ، وثانيـاً ، بهـذا المطلب ، ليس ثمة مبالغة ، إذا قلـت إن الخطـر الصـهيونى - بأبعاده المختلفة - أصبح يهدد العالم كله ، وليس النظام الإقليمى الإسلامى فحسب . وبإيجاز يمكن أن تعرف أبعاد هـذا الخطـر ، وذلك بالوقوف على الحقائق التالية :

١ - إن الخطر الصهيونى خطر تراكمى ، تتوفر للقائمين عليـه (اليهود ثم اليهود والبروتسـتانت) وفـرة ونضـج فـى الخبـرة التاريخية ، فى بلورة الفكر ، وصياغة الأهداف ، ووضع الخطط ، وتخير الوسائل ، والارتباط بالتحالفات مـع الأقويـاء ، خاصـة الشركاء منهم فى التحرك نحو الهدف ذاته . لقد تحالف الصهاينة

مع الفرس قديماً ، وكذلك مع اليونان والاسبان ، وذات يوم مع العثمانيين ، ولم يمنعهم عداؤهم للنازية من أن تكون لهم علاقات ، أو اتصالات تعاون ، مع الخارجية الألمانية ، ومع عملاء الفاشية ، إبان صعود نجم دول المحور ، فى الحرب العالمية الثانية . كذلك ، فإن تعاونهم وتواطؤهم مع عمداء الحركة الاستعمارية الحديثة تباعاً : فرنسا ، وانجلترا ، والولايات المتحدة ، هو أمر متواتر علمياً وتاريخياً (*) .

٢ – الخطر الصهيونى خطر متنام باستمرار – حتى الآن – لدرجة يمكن القول معها بأن الحركة الصهيونية الحديثة لم تعد ربيبة الاستعمار الغربى ، ولم تعد أداته فحسب ، ولا مجرد حليفة معه ،

---

* انظر :
- خيرى حماد ، الصهيونية : جذورها ، م.س
- د. نعمان عبد الرازق السامرانى ، اليهود والتحالف مع الأقوياء ، ط١ ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، سلسلة كتاب الأمة ، مارس ١٩٩٢
- رياض أحمد ، م.س
- د. حسن ظاظا واخرون ، م.س
- د. امين عبد الله محمود ، م.س
- د. محمد عبد الرؤوف سليم / تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، م.س
- بروتوكولات حكماء صهيون ، م.س
- محمد عبد الواحد حجازى ، انتبهوا إسرائيل الكبرى ، ط١ ، المنصورة ، مكتبة الإيمان ، ١٩٩٧
- مارتن س ، إنديك ، سياسة إدارة كلينتون حيال الشرق الأوسط ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت) ، صيف ١٩٩٣ ، ص ص ١٩٦-٢٠٥
- إسرائيل لم تكن أمن مما هى اليوم ، كلمة وزير الدفاع الأمريكى أمام (ايباك) فى يونيه ١٩٩٣ ، عن مجلة الدراسات الفلسطينية ، صيف ١٩٩٣ ، ص ص ٢٠٦ - ٢١١ .

بل إنها باتت تمثل مناوئاً لـــه ، وتجـــاوزت أطماعهـــا الأطمـــاع الاستعمارية الغربية ، وتفكر حالياً فى صهينة أو تهويد الحضــــارة الإنسانية ، وحكم العالم .

فى مونتريال ١٩٤٧ ، صرح ناحوم جولدمان – الذى أصبح فيما بعد رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية – بقوله : " كــان ممكنــاً لليهود أن يحصلوا على أوغندا أو مدغشقر أو غيرها ، لينشــئوا وطناً قومياً لهم هناك ، ولكن اليهود لا يريدون سوى فلســطين ، ليس لاعتبارات دينية ، أو لسبب إشارة التوراة إلــى فلســطين ، وليس لأن البحر الميت يمكن أن يعطى – عن طريق التبخر – ما قيمته خمسة آلاف مليار دولار من المعادن ، ولــيس لأن تربــة فلسطين الجوفية ، تحتوى على كميات من البترول تزيــد – كمــا يقولون – على احتياطى الأمريكتين – فحسب – بل لأن فلســطين هى ملتقى الطرق ، بين أوروبا وآسيا وأفريقيــا ، ولأنهــا هــى المركز الحقيقى للقوة السياسية العالميــة ، والمركــز العســكرى الاستراتيجى للسيطرة على العالم ([174]) .

---

[174] سيريب سبيريدوفيتش ، حكومة العالم الخفية ، ترجمة مأمون سعيد ، ط٩ ، بيروت ، دار النفائس / ١٩٩٠ ، ص٣٤ ، راجع :

٣ – الخطر الصهيونى له قدرة فائقة ، على اختراق أصعب الدوائر الدينية (*) والسياسية (**) ثم السيطرة عليها وابتزازها وتوجيهها ، فى مسار خدمة وتحقيق الأهداف والأطماع الصهيونية .

- د. محمود خيرى عيسى (إشراف) ، المعركة بين العرب وإسرائيل ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، د.ت ،
انظر : خيرى حماد ، الوجود الإسرائيلى فى المخطط الاستعمارى ، ص٩
- د. عبد الوهاب المسيرى ، اليد الخفية ، ط١ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٨
- عونى عبد المحسن فرسخ ، مخطط التفتيت ، التحدى الامبريالى الصهيونى المعاصر ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥
- فتحى الرملى : الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ، ط١ ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٥٦،
- صابر عبد الرحمن طعيمة ،م.س
- د. عايدة توفيق الهاشمى ، م.س
- د. محمد عبد الله الشرقاوى ، م.س
- د. كامل سعفان ، اليهود .. تاريخياً وعقيدة ، القاهرة ، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، أبريل ١٩٨١.
وللمزيد عن البرنامج النووى الإسرائيلى – تحديداً – راجع :
- د. ممدوح حامد عطيه ، البرنامج النووى الإسرائيلى والأمن القومى العربى ، القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٧
- مجدى عمر ، المخطط الصهيونى والدولة اليهودية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١
- د. محمد محمود أبو غدير ، الخيار النووى الإسرائيلى ومفهوم الصراع فى التراث اليهودى ، رسالة المشرق (القاهرة) ١٩٩٣ ، ص ص ٦٣ – ٩٨
- محمد عبد السلام ، التقديرات السائدة لعدد القنابل النووية الإسرائيلية ، الأهرام (القاهرة) ، ٢٠٠٠/٩/١

* انظر :
- أكرم لمعى ، م.س
- محمد السماك ، م.س
- جريس هالسل ، النبوءة والسياسة ، م.س
- د. أحمد نورى النعيمى ، يهود الدونمة ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٥ .

** انظر
- قيس مراد قدرى ، الصهيونية وأثرها على السياسية الأمريكية (١٩٣٩ – ١٩٤٨) ، ط٢١ ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الأبحاث ، ١٩٨٢
- أحمد منصور ، النفوذ اليهودى فى الادارة الأمريكية ، ط١ ، دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٧
- د. محمود حسن صالح منسى ، م.س
- د. حسن بكر ، العرب واليهود فى أمريكا ، كراسات استراتيجية ، (القاهرة) ، عدد ٧٣ ، ١٩٩٩

وما يقال عن سيطرة اليهود ، على الـدوائر السياسـية والاقتصـادية والعسكرية والإعلامية والفنية ، فى الولايات المتحدة ، ينسـحب إلـى مجال الأدب ، الذى تربع اليهود على عرشه ، ويحكمون قياده ، لخدمة قضايا الصهيونية ومعاداة العرب ، وتكريس مقولات العودة والخـلاص ([١٧٥]) . وفى الأدب الإنجليزى بصمات يهودية مماثلـة فـى توجهاتهـا الصهيونية ([١٧٦]) ، وقد جاء ذلك امتداداً للاختراق الصهيونى (اليهود / البروتستانتى) لدوائر الفكر والأدب والتنشـئة الاجتماعيـة ، فـى دول الغرب البروتستانتى ، فى أوروبا وأمريكا ([١٧٧]) .

- د. علاء طاهر ، حرب الفضاء ونظرية الأمن الإسرائيلى ، ط١ ، القاهرة ، الصلاح للدراسات الاستراتيجية والانتاج الاعلامى، ١٩٩١
- د. حامد ربيع ، التوافق الإسرائيلى الأمريكى ، الأهرام الاقتصادى (القاهرة) ، ١٩٨٣/٣/٧
- ماجد كيالى ، العلاقة الخاصة الأمريكية الإسرائيلية : التحليل المركب لتقاطع المصالح ، شئون الأوسط (بيروت) ، أكتوبر ١٩٩٧ ، ص ص ٢٧-٤١
- جوناثان جولدبيرج ، قوة اليهود فى أمريكا ، ترجمة نهال شريف ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٧
- جورج و. بول و : دوغلاس ت . بول ، أمريكا وإسرائيل : علاقة حميمة – التورط الأمريكى مع إسرائيل منذ ١٩٤٧ حتى الآن ، ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل ، ط١ ، بيروت ، بيسان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤
- ناديوس فاليشينوفسكى ، إسرائيل وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، سلسلة مترجمة (٦ : ٧) ، د.ت
- رجاء جارودى ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة ونشر دار الغد العربى ، القاهرة ، ١٩٩٦

[175] د. رمسيس عوض ، اليهود والأدب الأمريكى المعاصر ، القاهرة ، دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، عدد ٥٧٥ ، نوفمبر ١٩٩٨

[176] د. رمسيس عوض ، صورة اليهود فى الأدب الانجليزى ، القاهرة ، دار الهلال ، عدد ٥٧٩ ، مارس ١٩٩٩

[177] ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ، م.س ، صفحات : ٣٠-٣٧ ، ٧٥ – ٧٨ ، ٩٣ – ١٠١ ، و: محمد السماك ، ص ص ٢١-٢٥ ، ٣٨-٣٩

ثم إن قدرة الصهاينة (اليهود خاصة) على التحالف والاستقواء بالآخرين ، قد مكنت إسرائيل ، من استنزاف دول استعمارية عديدة ، ولعبت " المساعدات " الخارجية ([١٧٨]) من جانب هؤلاء ، دوراً كبيراً فى تضخم قوة دولة إسرائيل ، اقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً .

٤ – إن الخطر الصهيونى خطر ذرائعى / تآمرى (يعتمد آلية التحالف مع الأقوياء ، كما نصت وثيقة إعلان الدولة) ([*]) .

٥ – إن الخطر الصهيونى مرحلى ([**]) .

---

[178] د. جودة عبد الخالق ، من يساعد إسرائيل ؟ ، ط١ ، القاهرة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٥ ، و: أسعد السحمرانى ،المشروع الصهيونى ، م.س

و: أحمد السيد النجار ، بناء دولة – دور المساعدات الخارجية لإسرائيل (١٩٤٨ – ١٩٩٦) ط١ ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٩٨

- و: د. محمد عبد العزيز ربيع ، المعونات الأمريكية لإسرائيل ، ط١ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٠.

و: د. عبد الوهاب وهب الله (إشراف) ، بنية القوة العسكرية الإسرائيلية ومصادر تمويلها ، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات ، د.ت

و: ناديوس فالبشينوفسكى ، م.س

* إلى جانب الدعاوى العقائدية والتاريخية والسياسية ، التى تتذرع بها الصهيونية لانتزاع أرض فلسطين ، فإن قادتها يزعمون أن مخططهم له رسالة حضارية يحملها الى أهل المنطقة ، ويتذرعون أيضاً بدعوى معاداة السامية .

للمزيد راجع :

- د. محمد خليفة حسن ، الشخصية الإسرائيلية ، م.س ، ص ص ٧٥ – ٨٤
- مجدى عمر ، المخطط الصهيونى والدولة اليهودية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ ، ص ص ٣٢٦ – ٣٢٧
- أمين اسكندر ، معاداة السامية والتوظيف الصهيونى لها ، مختارات إسرائيلية (القاهرة) ، يونيه ١٩٩٩ ، ص ص ٩٥ – ٩٩
- ممدوح أنيس فتحى ، م.س
- د. نعمان عبد الرازق السامرانى ، م.س

** للمزيد ، راجع

٦ – إن الخطر الصهيونى تنظيمى (مؤسساتى) ([١٧٩]) / أهلى .

٧ – إن الخطر الصهيونى تفكيكى (*) .

٨ – إن الخطر الصهيونى يستهدف الهيمنة الاقتصادية (**) .

٩ – إن الخطر الصهيونى خطر مستشر ، ليس سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً وثقافياً وفنياً فحسب ، بل اجتماعيـــاً أيضـــاً ، وذلك أشد خطورة ، إذ انه يستشرى من خـــلال منظومـــة عمـــل متكاملة ، تتحرك خلف ستار الأنشطة والخـــدمات الاجتماعيـــة ، تتمثل فى شبكات المحافل الماسونية العالمية ، وأندية الروتـــارى والليونز ، والمحافل البابية والبهائية والقاديانية ، وكلها تعمـــل – بدرجات متفاوتة ، لكن بتنسيق محكم – مع الحركـــة الصـــهيونية

- إبراهيم عبد الكريم ، صورة إسرائيل المستقبلية – دراسة فى الخطط والتقديرات الإسرائيلية ، شئون عربية (القاهرة) ، مارس ١٩٩٩، ص ص ١٧٥ - ١٨٧

[179] موسوعة القدس ، م.س ، ملف (منظمات صهيونية) .

* للمزيد راجع :
- عونى عبد المحسن فرسخ ، م.س
- عبد الودود شلبى ، الإسلام وخرافة السيف ، القاهرة ، دار الخليج ، ١٩٨٧ ، ص ص ١٣٨ – ٢٣٩ : وفيه أن شكيب أرسلان رصد مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة .
- د. محمد عمارة ، المرجع السابق .
- عبد الهادى البكار ، المؤامرة العظمى ، الوفد (القاهرة) ، حلقات خلال شهور ٢ ، ٣ ، ٤ /١٩٩٨
- أسامة هيكل ، الخطة الصهيونية الكبرى ، الوفد . (القاهرة) ٥/٣/١٩٩٨
- المخططات القذرة ، رأى الشعب (القاهرة) ، ٢٣/٢/١٩٩٨

** انظر : أسعد السحمرانى ، المشروع الصهيونى الجديد ، م.س
- إكرام عبد الرحيم ، السوق الشرق أوسطية من هرتزل إلى باراك ، ط١ ، القاهرة .

العالمية ، على هدم بنية النظام الإقليمي الإسلامي : عقائدياً وأخلاقياً وثقافياً واجتماعياً .

فى أحيان كثيرة ، كانت خطط تلك المحافل وتحركاتها ، تستهدف مباشرة تعزيز التحرك الصهيونى تجاه فلسطين ، بل وتتخذ فلسطين مركزاً لأنشطتها ، التى تعزز الوجود اليهودى ، والمؤسسات الصهيونية ، داخل فلسطين .

إن رصد التحركات ، والعلاقات المشتركة بين الحركة الصهيونية العالمية ، وتلك المحافل ، لم يعد محل شك ، أو ضرباً من التفسير التآمرى ، بل مثبت من خلال الوثائق والدراسات العلمية المتخصصة (*) .

---

* راجع :
- د. مانع بن حماد الجهنى (إشراف) ، الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط٣ ، الرياض ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ ، المجلد الأول ، صفحات : ٤١٢ ـ ٤٢٣ ، ٤٩٧ ـ ٤٩٩ ، ٥١٠ ـ ٥٦٠
- د. عبد الوهاب المسيرى ، اليد الخفية ـ دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية ، م.س ، ص ص ١١٣ ـ ١١٤
- د. مصطفى محمود ، المؤامرة الكبرى ، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، سلسلة كتاب اليوم ، يونيه ١٩٩٣
- محمد عزت محمد عارف ، نهاية اليهود ، ط٢ ، جدة ، دار عكاظ للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ ، ص ص ١٢٤ ـ ١٣٨
- كامل الشرقاوى ، كيف قامت دولة إسرائيل ، القاهرة ، مطابع الأهرام ، ١٩٩٠ ، ص ١٥ ـ ١٨ ، ص ص ٣٤ ـ ٣٦ ، صص ٦٢ ـ ٦٤
- د. أحمد محمد عوف ، خفايا الطائفة البهائية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٢ ، ص ص ٩-١١
- د . أحمد محمد عوف ،القاديانية .. الخطر الذى يهدد الإسلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩ ، ص٩

يذكر أنه فى عام ١٨٤٣ تأسست منظمة (بناى بريت) أى (أبناء العهد) وهى أقدم أكبر المنظمات اليهودية ، وقد نشأت كهيئة أخوية تعمل تحت شعار (المعاملة الطيبة والحب الأخوى والتوافق بين اليهود) وتهدف – كغيرها من الجمعيات الماسونية – إلى توحيد وحشد طاقات اليهود ، فى جميع أنحاء العالم ، من أجل تحقيق الهدف النهائى للماسونية العالمية ، وهو حكم العالم من خلال حكومة عالمية يقودها اليهود ، وقد أصبح لهذه الجمعية – حالياً – فروع فى خمس وأربعين دولة (١٨٠) .

- أبو الحسن الندوى ، القاديانية ثورة على النبوة والإسلام ، ط٢ ، القاهرة ، الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ ، صفحات ٥ ، ١٠ ، ١٧ .
- د. على شلش ، اليهود والماسونية فى مصر ، ط١ ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ١٩٨٦
- موقف الأمة الإسلامية من القاديانية ، القاهرة ، الأزهر – مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٦ ، ص ص : ١١٩ – ١٢٦
- د. عمارة نجيب و: د. محمود عثمان ، البهائية فى ميزان الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، رسالة الإمام ، عدد يونيه ١٩٨٥ ، ص ص ٤٩ – ٥٦
- بيان من الأزهر الشريف عن البهائية والبهائيين ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٨٦/١/٢٠
- د. عبد الرحمن الدوسرى ، اليهودية والماسونية ، ط١ ، الخبر (السعودية) ،دار السنة ، ١٩٩٤
- شيريب سبريدوفيتش ، حكومة العالم الخفية ، م.س ، ص ص ١١ – ١٥
- د. أحمد شلبى ، اليهودية ، ص ص ٣٠٧ – ٣٥٩
- بروتوكولات حكماء صهيون ، م.س
- د. عبد الحليم عويس ، مداخلة بالجلسة الخامسة للمؤتمر الشعبى العالمى لدعم صمود الشعب الفلسطينى ، القاهرة ، المقر العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، يوليو ٢٠٠٢ ، حيث أشار إلى تجنيد الحركة الصهيونية للجمعيات والمحافل المذكورة لخدمة الأغراض الصهيونية ، مستشهداً بما صدر عن الأزهر الشريف ومؤسسات أخرى ، وعن كبار المستغلين بالفكر والثقافة أمثال أ/أنيس منصور – من بيانات وتصريحات تؤكد العلاقة بين الطرفين المذكورين .

[180] موسوعة القدس ، م.س ، ملف (أحداث عام ١٨٤٣) .

وفى عام ١٨٨١ تأسس أول محفل يهودى فى فلسطين ، امتـــداداً لمنظمة بناى بريت ، وكان له دور فى الاستيطان ، ونشط أكثر بعد صدور وعد بلفور ، وكان له دور فى تنظـــيم وتشـــجيع الهجـــرة اليهودية إلى فلسطين ، واستصدار قرار التقسيم ، والمشاركة فى المؤتمرات الصهيونية (١٨١) .

فى عام ١٩٦٧ رفضت محكمة الاستئناف الشـــرعية الإســـلامية بالقدس ، طلباً لمؤسسة ماسونية أمريكية ، من أجل بناء هيكـــل سليمان ، فى منطقة الحرم (١٨٢) .

وفى عام ١٩٦٨ أرسل أحد رؤساء المحافل الماسونية الأمريكية ، رسالة إلى أمناء مسجد عمر بالقدس ، يعرض فيها إعطاءهم مبلغ مائة مليون دولار ؛ مقابل السماح لجماعته ، ببناء الهيكل الثالث ، مكان المسجد (١٨٣) .

---

[181] المصدر السابق ، ملف (أحداث : عام ١٨٨١)
[182] المصدر السابق ، ملف (أحداث : عام ١٩٦٧)
[183] المصدر السابق ، ملف (أحداث : عام ١٩٦٧)
- ونص الرسالة المذكورة يوجد بملف (وثائق)
يذكر أن كبار الشخصيات الدينية والسياسية لا يترددون – حاليا – فى تلبية دعوات نوادى الروتارى والليونز ، وحتى الثلاثينيات من القرن الماضى ، كان المصريون بل كبار رموزهم الدينية والثقافية – لا يفرقون بين اليهودية والصهيونية ، وكانت تلك الرموز لا ترى فى الصهيونية شرا أو ضررا ! وقد عبر الشيخ محمد عبده عن سعادته بانتشار المستوطنات الصهيونية فى فلسطين ، ويذهب أحمد لطفى السيد على رأس وفد كبير

١٠ – أخيراً ، يعد الخطر الصهيونى صنواً لخطر آخر ، لا يقل عنه قوة ، ويتوافق معه فى الاتجاه نفسه ، وهو الحركة الاستعمارية الغربية ، وقد استقوى كل منهما بالآخر ، وقد تواطأ على رسم خطط وتوظيف آليات واحدة ، فى غالب الأحيان ، مستهدفين – معاً – فرض سيطرتهم على القدس .

١١– وإذا كانت أبعاد الخطر الصهيونى وسماته ، تعد من أبرز الأسباب والمداخل المؤدية إلى تقويض المخطط الصهيونى ، وتعد – أيضا – عوامل انهيار كامنة فى الخطر ذاته ، وكفيلة بإحداث السقوط المنتظر ، هذا السقوط الذى بدأ الباحثون يرصدون ارهاصاته وشواهده (*) ، فإنه يجب ألا نركن إلى ترقب ذلك السقوط أو الانهيار ، بل إن الإلمام بأبعاد هذا الخطر ، يملى علينا ضرورة مواصلة وتكثيف العمل ، لمواجهته فى المرحلة الراهنة .

للمشاركة فى افتتاح الجامعة العربية فى القدس عام ١٩٢٥ ، ولاحقا ، ثم تفسير ذلك على أنه كان : سوء فهم وخطأ فى التقدير .

* راجع ما نشر من دراسات متخصصة فى هذا الشأن ، مثل : ما بعد الصهيونية . مصير الصهيونية بعد قرن من ولادتها – تحويلات المشروع الصهيونى – أزمة الصهيونية – إسرائيل ما بعد الصهيونية – سقوط أساطير الصراع – تحديات المشروع الصهيونى – إسرائيل وفلسطين بعد الحقبة الصهيونية .. الخ

المبحث السادس

مفهوم قضية القدس

(عن أي قدس نتحدث ؟)

أولاً – الدلالة اللغوية والإصطلاحية لكلمة (قضية):

تعنى (القضية) – فى (اللغة) ([١٨٤]) – : (القضاء) أو (الحُكــم) أو (الفصل) .

أما فى الاصطلاح ، فإن دلالات كلمة (القضية) تتباين بتعدد الحقول أو المجالات المعرفية : المنطق والفلســفة ، البحــث العلمــى ، القضاء ، الحقل السياسى .

تعنى (القضية) فى الحقل السياسى ([١٨٥]) ، إثباتاً نظريــاً ، يقــدم بشكل عام كحقيقة جزئية ، للدلالة على موقف معين ، نلتزم به ، للدفاع عنه ضد اعتراضات الخصم . فالسياسى يؤكد على فكرته ، ويدافع عنها فى مواجهة أفكار خصومه .

---

[184] أبو بكر الرازى ، مختار الصحاح ، مادة : قضى
والمعجم الوسيط ، مرجع سابق ، مادة : قضى

[185] موسوعة السياسة ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٥ ، ج٤

إذن ، فالقضية موقف مفند وداحض ؛ لأن الإثبات يقتضى الإنكار والرفض ، لا المهادنة والتوفيق .

ولهذا نجد أن القضية ، تستخدم كسلاح شديد الفعالية ، فى الصراع السياسى والنقاشات السياسية ، بهدف دحض مزاعم الغير ، أو نقض حجج الخصوم ، فهى تساعد على تحديد طبيعة التناقض ، بين الأطراف المتصارعة ، تمهيداً لاتخاذ الموقف الصحيح ، كما أنها تسهم - من خلال محور النقاش حول الاختيارات السياسية - فى كشف ما إذا كان الطرح النظرى يعكس - فعلاً - التناقضات القائمة فى الواقع ، أو إمكانية ترجمته إلى برنامج سياسى ، يمكن تطبيقه على الأرض .

وقد عرف تاريخ الصراعات السياسية ، سجالات من هذا النوع ، كانت الغاية منها -دائماً - ولاتزال ، إقناع الجماعات ، بصحة هذا الطرح السياسى أو ذاك .

هذا عن الشطر الأول فى المفهوم : (قضية) .فماذا عن الشطر الثانى ، وهو (القدس) ؟

ثانياً - الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكلمة (القدس) :

تعنى (القدس) – فى اللغة – ([١٨٦]) : الطهر والبركة .

وهى اسم ومصدر ، وتقرأ بسكون الدال وضمها .

و(المقدس) : هو حرم القدس ، ويقال : بيت المقدس ، أيضاً .وفى النسبة إليه ، يقال : مقدسى .

و(المقدس) هو – أيضاً – المكان الطاهر ، الــذى يتخــذ لله ، أى لعبادته ، بأمر منه ، فيكون وقفاً عليه ، أى لعبادته فيه .

وبعد .. فــ (القدس) جغرافياً وديموجرافياً ، أحد أسماء المدينــة الفلسطينية العربية المعروفة عالمياً ، منذ أقــدم عهــود التــاريخ ([١٨٧]) ، والتى هى – حالياً – محل صراع سياسى ، ونزاع قانونى ، بين طرفين :

---

[186] أبو بكر الرازى ، مرجع سابق . مادة : قدس
و: المعجم الوسيط ، مرجع سابق . مادة : قدس

[187] للمزيد من التفاصيل عن أسماء القدس ، وتاريخها حتى ١٩٨٤ ، راجع :
- موسوعة السياسة ، مرجع سابق ، ج٤
- د. جوزيف موسى حجار ، القدس – ماضيها وحاضرها ، ط١ ، دمشق ، دن ، ١٩٩٥
- محمد صبيح ، القدس ومعاركنا الكبرى ، ط٢ ، القاهرة ، دار التعاون ، ١٩٩٨
- د. محمد محمد الفحام (شيخ الأزهر) ، المسلمون واسترداد بيت المقدس ، القاهرة ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٠
- يواكيم مبارك ، القدس ، القضية ، م.س
- بحوث مؤتمر (مصادر تاريخ القدس) ، جامعة القاهرة ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، ٢١ – ٢٣ مارس ١٩٩٨

أولهما ، هو الشعب الفلسطينى ، ومن ورائه الأمتان العربية والإسلامية .

وثانيهما ، هو دولة إسرائيل ، ومن ورائها ، التحالف التقليدى ، الجامع بين الحركة الصهيونية العالمية ، والحركة الاستعمارية الغربية .

وعليه ، فالمقصود بـ (قضية القدس) – حتى الآن – هو ذلك الموقف ، الذى يتبناه ويدافع عنه ، أى من الطرفين ، المتصارعين المتنازعين ، تجاه مشكلة المدينة المذكورة . كما يقول أحدنا : هذه قضيتى ، قاصداً : هذا موقفى الذى أبذل قصارى جهدى فى الدفاع عنه .

<u>ثالثاً - عن أى قدس نتحدث</u> :

كان من الممكن أن يتوقف الحديث – فى هذا المبحث – عند حد النقطتين السابقتين : أولاً وثانياً ، لو كان متعلقاً بمدينة غير

- بحوث ندوة (القدس – ماضيها وحاضرها) ، القاهرة ، جامعة الأزهر – ١٩٩٥/١١/١٢
- د. محمد ابراهيم منصور (تحرير) ، القدس – التاريخ والمستقبل ، جامعة أسيوط ، مركز دراسات المستقبل ، ١٩٩٦
- عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٩
- د. عبد الوهاب المسيرى (تأليف وإشراف) ، موسوعة المفاهيم .. م.س .

القدس ، لكن الشأن الخاص لهذه المدينة . . تاريخيـا وعقائــدياً وديموجرافياً وإدارياً وجغرافياً وسياسياً ، جعل قضيتها فى غايــة الصعوبة والتعقيد . وقد أفرز ذلك الوضع متاهة مفاهيمية ، جعلت من العسير على غير المتخصص ، أن يميز بــين المتــداول مــن أسماء عديدة ، متباينة الدلالات – أحياناً – للقــدس الحاليــة ، أو بعض قطاعاتها .

وهكذا ، يصبح لزاماً على هذه الدراسة ، أن تحدد عن أى قــدس تتحدث .

لإجابة هذا السؤال ، لابــد – بدايــة – مــن معرفــة المقصــود بالمتداول – فى هذا الإطار – من تعبيرات مثل (القدس القديمــة) و(القدس الجديدة) و(القدس الشرقية) و(القدس الغربية) و(القدس الموحدة) و(القدس فى الطرح الصهيونى الأخير ، فيمــا يعــرف بقرى العزيرية وأبو ديس) .

وصولاً إلى التعبير ذى الدلالة القانونية والسياسية الصحيحة على القدس (محل الصراع) .

١ – فالقدس القديمة : هى كل ما يقع داخل السور الشهير العظيم ، ذى الأبواب السبعة ([188]) الذى بناه السلطان العثمانى سليمان القانونى ، عام ١٥٤٢م . فبعد أن تقلبت على تلك المدينة أمم كثيرة ، شهدت حروباً وتدميراً وإعادة بناء فيما يصل إلى ١٨ مرة ([189]) . و كان السلطان سليمان هو الذى أعطاها الطابع ، الذى عرفته الأجيال التالية إلى يومنا ، و إليه تعود صورتها الكلاسيكية ، كما كانت تشاهد من قمة جبل الزيتون ، قبل أن يسطو عليها العدو الصهيونى ، ويغير ملامحها ([190]) .

٢ – أما القدس الجديدة : فهى ما بنى خارج السور المشار إليه ، من امتداد عمرانى ، فى جميع الجهات ، من أحياء جديدة ،

---

[188] فى مقدمة ما يقع داخل السور ، الحرم القدسى الشريف ، الذى يضم معظم الآثار الإسلامية بالمدينة وللمزيد راجع :

- موسوعة القدس (اسطوانة ليزر) ، القاهرة ، سفير للنشر ، ٢٠٠١ ، ملف (أماكن) .
- الموسوعة العربية العالمية ، ط٢ ، ج١٨ ، الرياض ، مؤسسة أعمال الموسوعة والتوزيع ، ١٩٩٩ ، ص ص ٨٦ – ٩٠

the encyclopedia American volume 16 u.s.a Danbury , comecticuf Grolier - incorporated 2000, pp 26-33

the new encyclopedia britannicca 15 th . volume 22 . London encyclopedia - Britannica . 2002 . pp 328-335

The online guide al – haram alsharif in Jerusalem (http:www.al-aqsa.com/index.html)

[189] موسوعة السياسة ، مرجع سابق ج٤

[190] يواكيم مبارك ، م.س ، ص٣١

- و: محمد خالد الأزهر ، أية قدس .. م.س

وضواح ارتبطت بالمدينة ، وكانت فى القديم قرى تابعة لها . وكذا ، ما بنى على بعض الجبال المجاورة ، مثل جبلى (المشـــارف) ، (قطمون) (١٩١) .

٣ – القدس العربية : تتبنى هذه الدراسة اسم (القـــدس العربيـــة) لتعود – من خلاله – بالقـــدس الحاليـــة (الممزقـــة / المهـــودة / المتضخمة) إلى أصلها العربى ، شأن كل فلسطين ، قبل أن تعبث بها يدا (الحركة الصهيونية العالميـــة ، والحركـــة الاســـتعمارية الغربية) ، أى قبل أن تنقسم بين العـــرب واليهـــود ، وقبـــل أن تحجب سيادة شعبها ، عن جزء ، هو القلب منها ، أى القـــدس ، بوضع نظام خاص لها (التدويل) .

والعودة بالقدس إلى الأصل العربى ، أعنى بها تحديد أبعاد القدس ، كما أفرزها قرار التقسيم والتدويل المشـــهور ، رقـــم (١٨١ – ١٩٤٧) الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (*) فذلك الأصل

---

[191] موسوعة السياسة ، مرجع سابق .

* حتى صدور هذا القرار ، كان تعبير (القدس وضواحيها) ، هو الغالب فى الخطاب السياسى والقانونى المتعلق بالقدس ، وكان يعنى القدس قديمها وجديدها ، وقد ظل اليهود مجرد أقلية ، سواء أكانوا داخل المدينة ، أم مبعثرين فى ضواحيها ، وكانت لهم بعض الممتلكات التى ظلت تمثل نسبة ضئيلة (٢١%) من مساحة القدس وضواحيها ، حتى نهاية الانتداب البريطانى عن فلسطين ، وللمزيد :

- حسن أحمد عمر ، المركز القانونى للقدس ، ج٣ ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٨/١٣
- د. جوزيف حجار ، مرجع سابق ، صفحات : ١٥ ، ١٨ ، ٤١ .

العربى هو (ما أفرزه نظام التدويل) و(لم يمسه قرار التقسيم) من أرض فلسطين التاريخية (العربية) . وطبقاً لذلك القرار ، تشمل القدس العربية : (بلدية القدس ، مضافاً إليها القرى المحيطة بها ، بحيث تكون أبو ديس أقصاها شرقاً ، وبيت لحم أقصاها جنوباً ، وعين كارم أقصاها غرباً ، وشعفاط أقصاها شمالاً) .

ووفقاً لما جاء فى الجزء الثالث ، من القرار نفسه ، فالقدس مدينة ذات كيان مستقل منفصل ، تخضع لنظام خاص ، يقوم مجلس الوصاية بأعمال السلطة الإدارية فيه ، نيابة عن الأمم المتحدة ، وقد نص البند (د) من الجزء نفسه من القرار ، على أن ينفذ ذلك النظام ، فى مدة لا تتجاوز (١/١٠/١٩٨٤) ، وأن يبقى نافذاً أول الأمر لمدة عشر سنوات ، ما لم يجد مجلس الوصاية أنه من الضرورى إعادة النظر فى أحكام هذا النظام برمته ، فى ضوء ما اكتسبه من تجربة ، ويكون لسكان المدينة عندئذ ، حرية التعبير عن رغباتهم ، عن طريق استفتاء عام .

- محمد خالد الأزعر ، مرجع سابق

٤ – (القدس الشرقية) و(القدس الغربية) : اصطلح خطأ – علـــى تعريف الجزء الشرقى من القدس بـــ (القدس الشرقية) ، وعلـــى تعريف الجزء الغربى بـــ (القدس الغربية) ، مما رسخ فى الأذهان – على غير الحقيقة – أن هناك قدسين : قدساً شرقية ، وقدســـاً غربية .

وقد استثمرت إسرائيل هذا الخطأ الشائع ، الذى نشأ منذ احتلالها الجزء الغربى من المدينة ١٩٤٨ ، واستطاعت أن توهم العـــالم ، والكثيرين منا ، بأن (القدس الغربية) إسرائيلية ، وأنه لا ينـــازع أحد اسرائيل في هذا الجزء ، بينما هو – كما ذكرنا – جزء محتل من القدس العربية ، التى أفرزها قرار التقسيم والتدويل الشهير .

وعليه ، فالصحيح أن نقول : شرق القدس وغرب القدس ؛ فهـــى قدس عربية واحدة ، وما التمييز بين شطريها هذين ، إلا تمييـــز بين جزء تمكنت إسرائيل من احتلاله بعـــدوانها التوســـعى عـــام ١٩٤٨ / ١٩٤٩ ، وهو الجزء أو الشطر الغربى ، وبين جزء لم

يصل إليه مدى ذلك العدوان ، وهو الجزء أو الشطر الشرقى (*) ، والذى تمكنت إسرائيل من احتلاله أيضاً ، فى عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧ (**) .

٥ – (القدس الموحدة) : فى الواقع ، هذه كلمة (حق) تريد إسرائيل بها (باطلا) ؛ فالأصل فى شأن القدس ، أنها مدينة عربية (واحدة) ، لم يمزقها غير الاحتلال أو العدوان الإسرائيلى ، وما هذا التمزيق إلا أمر عارض ، ستتجاوزه مدينة القدس تلقائياً ، بمجرد انتهاء الاحتلال .

تتجاهل إسرائيل هذه الحقيقة وتحاول أن تنوه بمسئوليتها عن توحيد شطرى المدينة ، وبسيادتها على المدينة كاملة ، وليس على شطرها الغربى فحسب ، وذلك من خلال ما تعلنه – تباعاً – عن خطط لـ (توحيد القدس) أو مشاريع لما تسميه (القدس الكبرى) أو من خلال تكثيفها لاستخدام تعبير (المدينة الموحدة) فى خطابها السياسى (*) .

---

* تأكد هذا التمييز وأصبح تقسيما فعليا للمدينة ، منذ توقيع اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والأردن فى أبريل ١٩٤٩ ، وظلت شرق المدينة وديعة مع إمارة شرق الأردن ، حتى أعلنت هذه الإمارة ضم الضفة الغربية بما فيها شرق القدس إليها فى ١٩٥٠/٤/٢٢ وقيام المملكة الأردنية الهاشمية .

** وجب التحذير من خطأ شائع آخر يتمثل فى ترديد البعض اسم (القدس العربية) مرادفا لخطأ (القدس الشرقية) قاصدين فى الحالين شرق القدس . لأن الصحيح هو استخدام تعبير (القدس العربية) للإشارة إلى كل القدس .

* راجع هذه الخطط والمشاريع فى :

وبينما (الحق) فى هذه الكلمة هو أن تعود القدس مدينة (واحدة أو موحدة) ، كما كانت ، فإن (الباطل) هو أن يدعيها المحتل لنفسه ، والباطل – أيضاً – أن يتمادى ذلك المحتل ، أي إسرائيل فى إدعائه ،حتى يصل – بالقوة والعدوان – إلى (إحقاق الباطل!) . ونظراً لخطورة جانب الحق – على إسرائيل – فى هذه الكلمة ، كانت إسرائيل ترفضها بشدة ، فيما مضى ، وكانت ترى فى (توحيد القدس وضواحيها) خطراً عليها ، وتوطيداً للحكم العربى فيها . يذكر أنه عندما عين (الكونت برنادوت) وسيطاً بين الطرفين المتحاربين – العرب واليهود – بعد الهدنة الأولى فى حرب ١٩٤٨ ، فكر فى توحيد مدينة القدس وضواحيها ، المفروزة أصلاً للتدويل ، فعارضت إسرائيل مشروع برنادوت بشدة ، معلنة أن المشروع يوطد الحكم العربى فى المدينة ، ويزدرى بالتاريخ العبرى ، وبما ترمز إليه أورشليم عند اليهود !. واغتيل برنادوت بأيد صهيونية .

- أحمد يوسف القرعى ، القدس من بنجوريون إلى نتنياهو ، ط١ ، باريس ، مركز الدراسات العربى الأوروبى ، ١٩٩٧ ، ص ص ١٧/دد

وطالب وزير خارجية إسرائيل بتدويل القدس القديمة فقط ، معتبراً الأحياء اليهودية الجديدة مرتبطة عضوياً بالدولة الإسرائيلية ، لكن الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تستجب ، وأقرت المشروع الأساسى لتدويل القدس وضواحيها فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ (١٩٢) ، مؤكدة أنه لا حق لإسرائيل ، فى ضم جزء من القدس إليها ، حتى لو ضم هذا الجزء أحياء يهودية .

كما سبق ، فقد احتلت إسرائيل غرب القدس ، فى عدوانها التوسعى ١٩٤٨ .

وفى ٧ يونيه ١٩٦٧ ، أتم الجيش الإسرائيلى احتلال شرق القدس ، وفى ٢٩ من الشهر نفسه ، أزيل الحائط الفاصل بين شطرى المدينة ، وارتفع العلم الإسرائيلى ، ليعلن (توحيد) شطرى القدس ، وفى ١٩٨٠/٧/٣٠ أصدر الكنيست قانوناً ، لإعلان القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، وفى يونيه ١٩٩٨ أعلنت الحكومة الإسرائيلية خطتها لتوسيع بلدية القدس – الشطر الغربى

[192] جوزيف موسى حجار ، مرجع سابق ، ص ٥٦ - ٥٧

– لتشمل ضم المدن والتجمعات الاستيطانية ، التـــى أقيمـــت فـــى الأراضى المحتلة ١٩٦٧ (*) .

٦ – القدس فى الطرح الإسرائيلى الأخير (العزيزية وأبوديس ورام الله) :

مع قرب تناول القضايا المرجأة لمفاوضات الوضع النهـــائى ، وفـــى صدارتها القدس ، بدأت إسرائيل تطرح على الفلسطينيين مـــا يمكـــن تسميته (قدساً مستنسخة) أو (عاصمة ممسوخة) للدولة الفلسطينية . فحوى هذا العرض ، أن يتم تكبير منطقتى العزيرية وأبـــوديس – من ضواحى القدس – وربطهما برام الله ، لتكوين منطقة جديدة ، تشمل (العزيرية و أبـــوديس و رام الله) ، وتعـــرف بالقـــدس ، وتكون عاصمة الدولة الفلسطينية ، على أن ينشـــأ بينهـــا وبـــين الأماكن المقدسة ممر ، لتأمين حرية العبادة للمسلمين والمسيحيين

* للمزيد ، راجع :
- أحمد الملا (السفير) ، إسرائيل والقدس الكبرى (الأهرام) ، ١٩٩٨/٦/٢٩
- بعد الإعلان عن خطة توسيع القدس .. اللواء الإسلامى (القاهرة) ، ١٩٩٨/٧/٩
- التفاصيل الكاملة لوثيقة بيان / أبو مازن : القدس يهودية والمستوطنات باقية ، العربى (القاهرة) ، ١٩٩٧/٢/١٠
- طاهر شاش (السفير) ، هل يمرر قرار توسيع القدس ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٧/١٢
- غادة الشرقاوى ، من أوراق القرن العشرين ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٦/٢٩
- فرنسا تنتقد الخطة الإسرائيلية لتوسيع القدس ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٦/٢٣
- نتنياهو : لن نعود أبدا إلى حدود ما قبل يونيه ٦٧ ولن تقسم القدس أبدا ، الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٨/٨/٢٥
- إسرائيل ستحتفظ بالقدس الكبرى .. الأهرام (القاهرة) ، ١٩٩٧/٦/٥

، تشرف عليه كل من إسرائيل وفلسطين ، أى لا يخضع لإشراف دولى ، على أن تتعهد إسرائيل بأن لا تنعت القدس محل النزاع والصراع – بهذا الاسم ، بعد تنازل الفلسطينيين عن الادعاء بالحق فيها ، واعترافهم بها عاصمة لإسرائيل ، وتكتفى إسرائيل باسم (أورشليم) ، لعاصمتها حتى يكون اسم (القدس) خاصاً بالمنطقة أو العاصمة الممسوخة ، المشار إليها ، للدولة الفلسطينية (١٩٣) .

الخلاصة:

بعيداً عن الطرح الأخير ، الذى يأتى امتداداً للاسلوب التقليدى للتفاوض الصهيونى أو الدبلوماسية الإسرائيلية . . .

وبعيداً عن القول بـ (القدس الغربية والقدس الشرقية) الذى تم توظيفه دعائياً وسياسياً ، لترسيخ الاحتلال الإسرائيلى فى غرب المدينة ، تمهيداً للانقضاض على شرقها ، الأمر الذى أسهم –

---

[193] د. أحمد صدقى الدجانى ، محاضرة .. ، م.س

و: حسن أحمد عمر ، مرجع سابق

يذكر أنه منذ أكتوبر ١٩٩٥ ، بدأ الحديث عما اشتهر بـ (وثيقة أبو مازن / بيلين) كاتفاق غير رسمى بين ممثلى السلطة الوطنية الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية متعلق بالعديد من أبعاد التسوية النهائية ، (تنازل) فيها أبو مازن عن القدس ، مكتفيا بالقرى البديلة عاصمة للدولة الفلسطينية .

أيضاً – فى تضليل الكثير من (الفلسطينيين والعرب والمسلمين) بأن هناك قدسين ، وراحوا يتعلقون بـ (القدس الشرقية) ، متجاهلين غرب المدينة تماماً . . .

و بعيداً عن التصور التوسعى التهويدى الذى يكرس الاحتلال ، من خلال ما تعلنه إسرائيل من مشاريع وخطط ، عما تسميه (القدس الموحدة أو القدس الكبرى) ..

بعيداً عن كل ذلك ، تظل الحقائق السياسية والقانونية والتاريخية ، هى الحاسمة ، والتى تنتهى إلى تحديد أبعاد مفهوم (القدس) أو (القدس العربية) فى إطار وضعها التاريخى والسياسى والقانونى ، قبل احتلالها (١٩٤٨ – ١٩٦٧) ، ذلك الوضع الذى يقرر الحق العربى والإسلامى فيها . ثم فى إطار وضعها السياسى والقانونى بعد الاحتلال ، ذلك الوضع الذى صاغته مقررات الشرعية الدولية ، بدءاً من قرار الأمم المتحدة ١٩٤٧/١٨١ ، وما تبعه ، مما لا يقر لإسرائيل بأى حق فى هذه المدينة : غربها أو شرقها ، قديمها أو جديدها ، ذلك لأن هذا الجزء من أرض فلسطين ، لم ينل منه قرار التقسيم ، ولايزال يحتفظ بوضعه القانونى الدولى ، كأرض

تحت الإدارة الدولية ، مآل السيادة عليها يجب أن يكــون لشــعب إقليمها ، ذلك الشعب العربى الذى كان يمثل ٩٨% من سكان إقليم فلسطين ، يوم صدور وعد بلفور ، وفى عقبــه صــك الانتــداب الدولى ، على الإقليم المذكور .

أقول هذا ، باعتبار ما يتوفر للشعب العربى الإسلامى ، من حــق فى أرض القدس ، اعتماداً على أسانيد تاريخية وسياسية وقانونية ، وباعتبار انعدام أى سند ، لوجود إسرائيل فى هذه الأرض ، غير (ذريعة احتلالها فى حروبها مع العــرب) و(قوانينهــا الداخليــة بإعلان القدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل ، والصــادرة عــن الكنيست) ، وهما حجتان داحضتان ، لا يلزمان العرب والمجتمــع الدولى بشىء ، بل ، وعلى العكس ، فإن إسرائيل كقوة احتلال هى التى تقع عليها التزامات عديدة ، أمام القانون الدولى ، تجاه شعب الإقليم الذى تحتله ، بل تجاه حدود هذا الإقليم وموارده ورمــوزه الحضارية ، حتى ينتهى الاحتلال .

باعتبار كل ما ذكرنا ، تتبنى هذه الدراسة - إذن - اسم (القــدس العربية) أو (القدس) ، علــى الإطــلاق ، قاصــدة بــه (القــدس

وضواحيها) ، كما أفرزها (نظام التدويل) الملحق بقرار التقسيم الشهير ، وتراها الدراسة هى محل (الصراع / النزاع) .

رابعاً - مفهوم "القدس" لدى طرفى الصراع :

يلتقى - بداية - طرفا الصراع بشأن القدس ، على دلالة واحدة لمفهوم (القدس) محلاً للصراع . هذه القدس هى (القدس ضواحيها) ، كما أفرزها قرار التقسيم ١٩٤٧/١٨١ ، وهى ما أسمتها هذه الدراسة (القدس العربية) ، باعتبارها جزءاً من أرض فلسطين العربية التاريخية ، لم ينل منه قرار التقسيم ، وإنما احتلته إسرائيل عامى ١٩٤٨ - ١٩٦٧ .

لكن ، بينما يتنازع الطرفان الحق فى السيادة على المدينة ، ويرى كل منهما - بداية - أن له الحق فى السيادة على المدينة كلها ، فإن مستجدات الصراع على مدى العقود الستة الماضية ، قد اعترت كلا الموقفين ، وأسهمت فى انحسار أو هبوط سقف مطالبات الطرف الأول (**منظمة المؤتمر الإسلامى**)فى المدينة ، وأسهمت في تضخم أطماع الطرف الثانى (اسرائيل) فيها .

١ - مفهوم (القدس) لدى منظمة المؤتمر الإسلامى :

ألزمت هذه المنظمة نفسها ، كما ورد فى ميثاقها ، بـ (تنسيق العمل على دعم كفاح الشعب الفلسطينى ، ومساعدته على استرداد حقوقه وتحرير أراضيه) و(تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحررها) و(العمل على القضاء على الاستعمار فى جميع أشكاله) ، الأمر الذى يفهم منه التزام المنظمة بتحرير (القدس العربية) ، كما أوضحت أو حددت دلالتها هذه الدراسة ، أى (القدس وضواحيها) التى لم ينل منها قرار التقسيم ، بل احتلتها إسرائيل إسرائيل عامى ١٩٦٧ ، ١٩٤٨ .

غير أنه فى ضوء مستجدات الصراع ، اعترى الموقف (الإسلامى / العربى / الفلسطينى) بشأن القدس مواءمات سياسية ، جعلت منظمة المؤتمر الإسلامى ، تتوقف منذ ظهورها وبرغم الالتزام السابق ذكره ، عند حد المطالبة – فى مقرراتها وتوصياتها – بشطر القدس الشرقى الذى احتل عام ١٩٦٧ ، وهذا مما يؤسف له كثيرا . ثم باركت المنظمة – لاحقا – ما اتفقت عليه منظمة

التحرير الفلسطينية مع إسرائيل ، من تأجيل بحث قضية القدس ، إلى مفاوضات الوضع النهائى .

كانت منظمة المؤتمر الإسلامى ، قد بدأت مشوارها بشأن قضية القدس ، فى أوائل السبعينيات ، أى فى مرحلة هبط فيها سقف طموحات الطرف الأول (الإسلامى / العربى / الفلسطينى) إلى حد المطالبة بعودة الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ – وضمنها شرق القدس – فحسب .

٢ – مفهوم (القدس) لدى الطرف الصهيونى (الإسرائيلى) :

يمكن التماس أبعاد مفهوم القدس لدى الجانب الإسرائيلى ، منذ الموقف المبكر الذى أعلنه اليهود ، من نظام التدويل الملحق بقرار التقسيم ، إذ تتحدد أبعاد هذا المفهوم فى (القدس وضواحيها) ، أى الأرض العربية ، التى لم يشملها قرار التقسيم ، فقد بيت اليهود النية ، على الاستيلاء على هذه الأرض ، التى عرفتها هذه الدراسة بـ (القدس) على الإطلاق ، أو (القدس العربية) .

رفضت إسرائيل مشروع برنادوت لتوحيد (القدس وضـــواحيها) ؛ مدعية أنه يوطد الحكم العربــى فـــى المدينــة ، وطالــب وزيــر خارجيتها بتدويل القدس القديمة فقط ، لكن - كما ســبق - فــإن الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تستجب ، وفى ١١/١٢١/١٩٤٨ أقرت نظام التدويل ، الذى كان متعذراً تطبيقه ، فلجأت إســرائيل إلى العدوان .

استولت إسرائيل فى عدوان ١٩٤٨ على ٢٣و٨٤% من مســاحة القدس ، التى أفرزها نظــام التــدويل ، وأصــدر الكنيســت فــى ١١/١٢/١٩٤٩ قراراً بإعلان القدس عاصــمة لإســرائيل ، فــى محاولة لفرض سياسة الأمر الواقع ، لكــن مجلــس الوصــاية - بموجب صلاحياته المقررة فى نظام التدويل - أصدر قراراً مضاداً (١٤١ فى ٢٠/١٢/١٩٤٩) بإبطال ذلك الإعــلان الإســرائيلى ، وبطلان نقل إسرائيل بعض دوائرها الحكومية ، إلى الجزء الــذى احتلته من القدس ، أى غرب القدس (١٩٤) .

---

١٩٤ حسن أحمد عمر ، م.س

ثم عبر (بن جوريون) رئيس وزراء إسرائيل فـــى ١٣/١/١٩٤٩ عن المرامى البعيدة لإسرائيل ، حيال القدس ، بقولـــه : " عنـــدما كانت أورشليم خلال الحرب تحت الحصار ، اضطررنا إلى أن نقيم مركز الحكومة بالقرب من تل أبيب ، ولكن فى نظر إسرائيل ، لـــم يكن ولن يكون من بديل لأورشليم ، كعاصمة للدولة ، هكذا كانـــت قبل ثلاثة آلاف سنة ([١٩٥]) .

تأكدت الأطماع التوسعية لإسرائيل فى القدس ، بإعلانها أن حرب ١٩٤٩/٤٨ قد بدلت عناصر جديدة ، مما أقرته المنظمة الدوليـــة عام ١٩٤٧ ، مدعية أنه لابد أن تراعـــى هـــذه العناصـــر عنـــد مفاوضات السلام ، ورفضت – فى مذكرة لاحقـــة إلـــى الجمعيـــة العامة فى ١٦/١١/١٩٤٩ – كل فكرة تستند إلى قرار التـــدويل ، واعتبرت أن الوضع الراهن أى احتلالها لغرب المدينة ، هو الذى يقره الحكم القانونى ! وأعلنت فى ٢٣/١/١٩٥٠ أن القدس كلهـــا وبدون تحديد هى عاصمتها السياسية ، لكن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لم تعبأ بهذا الادعاء ، وأقرت من جديد مبدأ التدويل ، ثم

[195] د. جوزيف موسى حجار ، م.س ، ص٥٩

أصدرت هيئة الوصاية ، التابعة للمنظمة الدولية ، نظـام الإدارة الدولية ، الخاص بالمدينة المقدسة فى ١٩٥٠/٤/٤ ([١٩٦]) .

جاء كل ما صدر عن إسرائيل - بعد ذلك - مؤكداً أبعـاد مفهـوم القدس ، فى الرؤية الاستراتيجية الإسرائيلية ، ليشمل (كل الأرض العربية التى لم يشملها قرار ١٩٤٧/١٨١) .

وكما سبقت الاشارة ، تحاول اسرائيل ألا تقف بدلالة مفهوم القدس عند حد (الأرض العربية التى لم يشملها قـرار ١٩٤٧/١٨١) ، وتعمل من أجل توسيع دلالة مفهوم القدس ، ليشمل ما تقضمه – تباعا – من أراضى الضفة الغربية ، وتضمه أو تلحقه بالقدس .

فى مقدمة مؤكدات ذلك ، ما تنشره اسرائيل ويجرى تنفيذه ، من خطـط ومشاريع الاستيطان والتوسع ، بل لقد تمددت اسرائيل بـــ (القـدس) جغرافياً على نحو ١٤% من مساحة الضفة الغربية ، والمخطط أن يصل إلى ٢٠% ، ثم الجهود المتواصلة لتوحيد مواقـف القـوى السياسـية والدينية الإسرائيلية ،حول الرؤية ذاتها (*) .

---

[196] للمزيد راجع :

- د. جوزيف موسى حجار ، مرجع سابق ، ص ص ٥٤ ـ ٥٨
- حسن أحمد عمر ، مرجع سابق ، ج٢

* كان أشهرها توقيع وثيقة إيتان / بيلين (ممثلى حزبى الليكود والعمل) فى ١٩٩٧/١/٢٦

ثم الموقف المتعنت من الجانب الإسرائيلى فى مؤتمر مدريد ، والاستبعاد المصطنع لقضية القدس ([197]) .

وكذا الجهود المكثفة الأمريكية والإسرائيلية ، بهدف الإغلاق التام لملف غرب القدس ، وترضية الجانب الفلسطينى ، بشىء من التطمينات والتعهدات ، بشأن شرق القدس ([198]) .

توالت المحاولات الصهيونية ، بهدف التدنى بسقف التفاوض حول القدس،إلى مجرد (السماح للفلسطينيين بالإشراف على المقدسات)([199])

وأخيراً ، كان الاستخفاف البالغ بالحقوق الفلسطينية ، والذى تجلى فى مفاوضات كامب ديفيد الثانية ([200]) .

خامساً - التعريفات الإجرائية لمفهوم (قضية القدس) :

يأتى مفهوم (قضية القدس) امتداداً لمفهوم (الصراع الإسلامى الصهيونى) ، غير أن مفهوم (قضية القدس) ينصب على بؤرة التضاد بين الموقفين : الإسلامى والصهيونى ، أى مدينة القدس .

---

197 راجع كلمة رئيس الوفد الفلسطينى فى جلسة افتتاح مؤتمر مدريد ١٩٩١/١٠/٣١

198 راجع رسائل التطمينات الأمريكية إلى الجانب الإسرائيلى
و: الرسائل المتبادلة بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى إبان مفاوضات أوسلو أوائل التسعينيات

199 د. أحمد صدقى الدجانى ، سقف التفاوض حول القدس فى عملية السلام ، الأهرام (القاهرة) ١٩٩٧/١٢/١٥

200 راجع وثائق هذه القمة فى مجلة الدراسات الفلسطينية العددين (٣٤ ، ٤٤)

ثم كان الهدف من تناول مفهوم (قضية القدس) هو تجلية حـدود هذه القضية ، من خلال الإجابة عن سؤال : عن أى قدس نتحدث؟ ومن بين مجموعة مفاهيم فرعية ، تتعلق بأبعاد مدينة القـدس ، تبينت هذه الدراسة مفهوم (القدس العربية) كمـا أفرزهـا قـرار التقسيم الشهير ، وليس (القدس العربية) المتداول ، مقصوداً به – خطأ – شرق القدس فحسب ، ذلك ؛ لأن (القدس العربيـة) التـى أفرزها قرار التقسيم ، هى محل الصراع ، وبؤرة التضـاد بـين الموقفين الإسلامى والصهيونى ، وهى التى تستوعبها – كلهـا – حدود قضية القدس .

تتمثل التعريفات الإجرائية ، المعبرة عن تضاد مـوقفى الصـراع بشأن القدس ، فيما صدر ويصدر عن كل منهما ، بشـأن حـدود المدينة المذكورة ، وهويتها والسيادة عليها .

فبينما يصر الطرف الصهيونى – إسرائيل – على :

١ – زيادة معدلات مصادرة الأراضى والاستيطان فى القدس .

٢ – زيادة معدلات عمليات التهويد .

٣ – زيادة معدلات الإجراءات (القانونية) الرامية إلى توسيع رقعة القدس الكبرى ، أو القدس الحضرية ، حتى تستوعب ٢٠% من مساحة الضفة الغربية ، فأكثر .

٤ – زيادة معدلات اعتداءات جماعات اليهود المتطرفين ، على المقدسات الإسلامية .

نجد – على الجانب الآخر – منظمة المؤتمر الإسلامى ، قد وقفت – إجرائياً – عند حد :

– تأكيد المواقف السياسية الإسلامية من القضية ، والمعلنة مسبقاً ، من خلال مقررات أجهزتها المختلفة .

– تبنى المبادرات السلمية الخاصة بحل القضية ، من الجانب العربى أو الدولى .

– مباركة ما تتوصل إليه منظمة التحرير الفلسطينية ، أو السلطة الوطنية الفلسطينية ، مع إسرائيل .

– تنفيذ القليل / الهزيل من الإجراءات الميدانية ، للمحافظة على ما تبقى ، من ملامح الهوية الإسلامية للمدينة .

فهرس الكتاب